النسيج الغافي



رواية

سجود ساري


رواياتك

الإهداء

**إلى روحٍ تَنسج بين الخيوط نورًا من الماضي،
وإلى شعبٍ يحمل في قلبه ألوان الأرض المسحورة،هدية
من عالمٍ بين الظلال والنور،لمن حمى سر الخيوط وأيقظ
النبض فًي الأرض.**

المقدمة

في أعماق الأرض، حيث تختبئ خيوط الزمان، وُجدت رموزٌ قديمة تحكي قصة حضارات غابت، لكنها لم تمُت.
في كل غرزة على القماش، ينبض سرٌ من أسرار الذاكرة، قوة لا تُقهر، وقصصٌ تنتظر من يوقظها.
ومنذ الأزل، تُختار حارسة واحدة لتحمي هذه الرموز، تحفظ سحرها، وتقف في وجه الظلام الذي يسعى لمحو النسيان.
هي غيداء، حارسة التطريز، التي تبدأ رحلتها بين الظلال والنور، لتعيد للعالم خيوط الماضي التي كادت تُمحى، قبل أن يغطيها السواد الأبدي.

الثوب الأول: نَسْجُ اليقظة
لم يكن فجرًا عاديًّا، بل فجرًا انحنى فيه الوقت، وتوقّف النور لحظة ليراقب، الزاوية الشرقية من البيت الطيني،

كان الثوب مُعلّقًا كأنّه نائم منذ قرون لكنه تحرّك لم تلمسه يد، ولم تهبّ نسمة،ومع ذلك، ارتجّت خيوطه،كأن الأرض نفسها أيقظت فيه روحًا دفينة،غيداء، التي ورثت الثوب عن جدّتها الكبرى، شعرت بشيء يتغيّر.الثوب لم يعُد قطعة قماش، بل أصبح مرآةً للزمن، بوّابةً إلى ما قبل الحكايةوبين خيوطه، انبعث ضوء خافت، على شكل رمزٍ كنعانيّ قديم ،كان هذا الرمز الأول، لامست غيداء أطرافَ الثوب، سرت في كفّها رعشة غريبة ليست بردًا... بل ذِكرى ، ذكرى لم تعِشها، لكنها محفورة في دمها ،الخيط الأحمر الذي يمرّ عبر القلب، تحرّك وحده، وكأنّه يرسم جديد ما مُحي عبر الزمن ،خلف النافذة، حطّت حمامة بيضاء كانت تحدّق فيها، لكن نظراتها لم تكن لطائر كانت نظرة حارسة،كما لو أنّها انتظرت هذه اللحظة منذ ألف عام ، نقرت الحمامة على زجاج النافذة ثلاث مرّات.في كل نقرة، اشتعل رمزٌ على الثوب.

نقرت أولى... فأضاء رمز المفتاح.
نقرت ثانية... فاشتعل رمز العين الحارسة.
أما الثالثة... فأطلقت نبضًا في الأرض تحت قدمي غيداء ،فانشقت أرض الغرفة عن دائرة حجرية منقوشة، تدور ببطءٍ وتكشف سلّمًا حجريًا يهبط في العتمة.

سُمعت همسة لم تعرف مصدرها:
"من يحمل الثوب... يُكمل القَصّة."

نظرت غيداء للحمامة،فردت جناحيها،وحلّقت،لكنها لم تختفِ... بل دخلت من الباب ووقفت على أوّل درجة في السلم ،وكانت تلك اللحظة، لحظة الاختيار.
العودة لم تكن مضمونة،لكنها لم تتردد ،شدّت الثوب حول جسدها،واتبعت الحمامة نحو المجهول.

نزلت غيداء الدرج بحذر، والعتمة تلفّ المكان،
لكنّ الثوب الذي تحمله كان ينبعث منه ضوءٌ خافت،
يلقي بظلالٍ ناعمة على الدرج، تكشف لها خطواتها
بهدوء، نورٌ لا يُزعج العين، بل يرافق حركاتها كما لو
كان جزءًا من روحها،مما مكنها من السير بثقة،
والحمامة البيضاء ترفرف أمامها،تُشير بأجنحتها إلى
الطريق،فتتبعها بلا خوفٍ، ولا تردد لكن فجأة،
سمعت همساتٍ تتردد بين الجدران،كأنّها أصوات أناسٍ
من زمنٍ بعيد،تناديها باسمها ارتجف قلبها،
لكنها لم تتراجع،بل شحذت عزيمتها، وواصلت السير
مع كل خطوة، كانت الخيوط على الثوب تتوهج
أكثر،فتشعُ منها خطوطٌ تتشابك،تنبثق منها رائحة الزعتر
والريحان ، وصلت إلى نهايات الدرج، وبينما كانت
تحاول استجماع أنفاسها،ارتفعت الحمامة البيضاء إلى

الأعلى تراقب غيداء التي شعرت برغبة في العودة،لكن قبل أن تستدير،لمحَت ضوءًا يتسلّل من شقٍ في الجدار الحجري،ضوءٌ لا يشبه ما رأته من قبل،نبضه كا نبض قلبها، حيٌّ، وغامض،كأنّه يناديها وحدها ،تقدّمت غيداء ببطء نحو الشقّ في الجدار،والضوء المنبعث منه أخذ يتّسع تدريجيًا،حتى صار كنافذة من وهجٍ حيّ،تتراقص على أطرافها خيوطٌ ذهبية،كأنّ أحدًا كانٍ ينسجها الآن من العدم

مدّت يدها بتردد،وما إن لامست أطراف الضوء،

حتى انفتح الجدار أمامها بهدوء مهيب،كأنّه كان ينتظرها منذ قرون ، عبقت في وجهها رائحة عتيقة،

مزيج من غبار الزمن، والياسمين الجاف،

ودخلت...كان كل شيء ساكنًا،لكنّه نابضٌ بطريقة غريبة،الأرض تحت قدميها لم تكن ترابًا ولا حجرًا، بل نسيجًا سميكًا من خيوط ملوّنة،تمتدّ في كل الاتجاهات تتحرّك ببطءٍ كما لو كانت تتنفس

والجدران...جدران لا نهاية لها،كل واحدة منها مغطّاة برسومٍ دقيقة،تبدو كأنها حكايات منقوشة بالإبرة،وكلما مرّت غيداء قرب واحدة،انبثقت من الرسم ومضاتٌ ضوئية،كأنّ الحكايات تحاول أن تصحو من سباتها ، في منتصف المكان،وقفت شجرة خيطية ضخمة،أغصانها تمتدّ كأنها أطراف نولٍ عتيق،ومن أعلاها، تدلّت خيوط تتلألأ،كلّ خيطٍ منها يحمل نقطة ضوء نبض الحياة ،شعرت غيداء بالدوار،كأنها دخلت إلى قلب شيء أزليّ،شيء لا يُفسّر،لكنّه يعرفها ،ينتظرها وينبض

باسمها وفجأة
صدر صوتٌ رخيم، لا يُعرف إن كان بشريًا أم لا،
همس من كل الجهات:

"الغافيات يستيقظن... والنسج بدأ..."

تقدمت غيداء ببطء نحو الشجرة، تارة تشعر بثقل
الكلمات التي تسمعها، وتارة يغمرها فضول لا يقاوم ،
سمعت غيداء صوتًا خافتًا ينساب في الهواء من بعيد،
كأنه نبع من بين أغصان الشجرة البعيدة،
يدعوها برقة:

"غيداء... لقد حان وقت اللقاء."

التفتت نحو مصدر الصوت،
وقالت بحذر:
"من هناك؟"

رد الصوت برقة وعظمة:
"أنا شجرة النسيج الغافي،
حارسة أسرار الأرض وذاكرتها." .

همس الصوت مرة أخرى، هذه المرة أقرب:

"لقد اختارتك الخيوط، لتكوني حارسة النسيج الغافي، لتحمي التراث وأسراره،الذي يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل."

ترددت غيداء، ثم سألت بصوت مرتجف:
"لماذا أنا؟ وكيف لي أن أفعل ذلك؟"

أجابها الصوت بحزم وهدوء:
"لأنك تحملين في دمك خلايا الأرض،
ولأن قلبك ينبض بحب هذا التراب،
النسيج ينتظر منك أن تكتشفي رموزه،
وأن تحميه من الظلال التي تهدد أن تمحوه."

نظرت غيداء إلى الشجرة بعينين مليئتين بالقلق،
وسألت بصوت يرتجف:
"من الذي يهدد تراثنا؟ وكيف لي أن أحميه؟"

أجابها الصوت الخافت بحزم:
"الأعداء هم ممالك الجوار،
الذين يسعون إلى محو تاريخك وهويتك،
ينشرون الظلام والنسيان،
يحاولون تمزيق خيوط النسيج الغافي،
ليجعلوا شعبك بلا ذاكرة، بلا جذور."

توقف الصوت قليلاً، ثم أضاف:

"أما كيف تحمينه؟
فعليكِ أن تتعلمي قراءة الرموز القديمة،
تحسسي خيوط النسيج،
وتستخدمي القوة التي ستجدينها في قلب الثوب،
لتعيدي النسيج إلى حيويته،
وتصدّي للظلال التي تحاول أن تبتلع النور."
تنفّست غيداء بعمق،
ثم سألت:
"ومن أين أبدأ؟ كيف أعرف الطريق؟"

رد الصوت الخافت مطمئنًا:
"ابدئي بخطوة صغيرة،
راقبي خيوط النسيج الغافي عن قرب،
ستجدين فيها أسرارًا تنتظر من يكتشفها،
وأصدقاء يساعدونك في رحلتك،
والأهم أن تثقي بقلبك، فهو دليلك الحقيقي."

في تلك اللحظة، رفرفت حمامة بيضاء بهدوء نحو غيداء،وتركتها تنظر إليها بحذر،ثم قالت الحمامة بصوت ناعم وحازم:
"أنا سلام، مرشدتك في النسيج الغافي،سأقف إلى جانبك،و أرشدك في طرق الخيوط،فلا تخافي، فلن تكوني وحيدة."

رفعت غيداء يديها ببطء لتلمس ريش سلام الناعم،

شعرت بدفء غريب ينبعث من تحت أطراف أصابعها،كأن القوة نفسها تتسلل إلى قلبها نظرت إلى سلام بعينين تملؤها التساؤلات، وقالت:
"كيف سأعرف الرموز؟ وكيف أقرأ خيوط النسيج الغافي؟"

ابتسمت سلام بابتسامة هادئة، وقالت:

"كل شيء سيُكشف لكِ مع الوقت،
كل غرزة تحمل قصة، وكل رمز له معنى،
ستتعلمين أن تستمعي للنسيج،
أن تشعري به كما لو كان نبض قلبك."

ثم رفرفت سلام حول غيداء، وأخذت ترسم في الهواء خطوطًا من نور،تبدو وكأنها تفتح بوابة صغيرة، وقفت غيداء مبهورة، تراقب النور يتموّج أمامها، يشبه نسيجًا حيًا يتحرّك بتناغم ،تناثرت حولها رائحة زعتر بريّ، وصوت بعيد لنساء يُنشدن أغنية قديمة، كأن الزمن ذاته يُفسح لها الطريق

قالت "سلام" وهي تنظر إليها بعينين لامعتين:

سلام:
" هذه أول خيوط الرحلة...
البوابة ستقودك إلى أول ثوبٍ نُسي،

في قريةٍ كادت تختفي من النسيج.
ثوبٌ يحمل رموز الماء والنار،
لكنّه مهدد بالذبول... لأن من لبسته لم يُذكر أسمها منذ زمن."

نظرت غيداء إلى البوابة، وقد بدأ قلبها يخفق بقوة.

غيداء:
"وماذا أفعل حين أصل؟"

سلام:
"اسمعي الأرض... أنصتي للحكايات المدفونة،
كل ما ترينه أو تشعرين به، دوّنيه بخيطك،
حين تكتمل القطبة، يعود الضوء إلى النسيج الغافي."

ثم همست الشجرة بصوتٍ أشبه بالحفيف:

الشجرة:
"لكن احذري... فليس كل ما في الطريق صديقًا.
هناك من يلبسون الوجوه،
يُغرونك بالنسيان، يزرعون الشك،
يريدون أن ينقطع الخيط، وأن يُمحى الأثر."

هنا... بدأت البوابة تتّسع، وصوت يشبه صرير نولٍ قديمٍ انبعث منها.

سلام:
" هيا يا غيداء... الوقت لا ينتظر.
والنسيج... بدأ يستيقظ."

رفعت غيداء قدمها، وتقدّمت بخطوةٍ أولى نحو الضوء ومع أوّل خطوةٍ داخل البوّابة، أحاط الضوء بجسد غيداء كوشاحٍ شفاف، ثمّ تلاشى فجأة، ووجدت نفسها في عالمٍ آخر مكانٌ يشبه الحلم، لكنه نابضٌ بالحقيقة ، كانت واقفة على أطراف قريةٍ صغيرة، غارقة بين التلال الخضراء، تحيط بها أشجار الزيتون العتيقة، تنحني أغصانها كأنّها تحرس سرًّا قديماً البيوت من حجر رملي، شُيّدت بأيادٍ تعرف الحكاية، وسُقوفها مغطاة بسعفٍ وقرميد بلون التراب لكن شيئًا ما لم يكن طبيعيًا... الهواء راكد، لا تسمع ضحكة طفل، ولا صهيل دابّة الستائر لا تتحرّك، والأبواب موصدة، كأنّ القرية نائمة... نائمة منذ مئة عام

"سلام" رفرفت بجناحيها، وحطّت على سور حجري، وقالت:

سلام:
" هذه هي قرية عين الرمّان.
ثوبها الأوّل كان يُطرّز في الليالي الطويلة،
رموزه تحمل سرّ الماء والنار،

لكن حين سُرقت الأغنية الأخيرة من ذاكرة الجدّات...
بدأ الضوء فيها يخفت."

سارت غيداء بخطى حذرة، تمرّ قرب نوافذ مغلقة، كل شيء بدا جامدًا... حتى الطيور لم تكن تطير، كأنّ الزمن تجمّد ، وفجأة... رأت على جدار منزلٍ مهجور، قطعة من قماشٍ معلّقة، تتماوج رغم السكون اقتربت كان الثوب هناك... أو ما تبقّى منه خيوطه باهتة، ألوانه شبه منطفئة، والزخرفة على صدره مقطوعة، وكأنّ أحدهم محا منه رموزه.
مدّت غيداء يدها ببطء، ولمست الثوب...في اللحظة ذاتها، دوّى صوت بعيد، حزين:

"من مزّق الذاكرة... يمشي بلا ظلّ..."

ارتجف قلب غيداء، ونظرت إلى "سلام" ، التي قالت بصوتٍ خافت:

سلام:
"النسيج لا يُصلَح إلا بمن يعرف معناه.
وأنت... يجب أن تكتشفي القصة التي نُسيت."
انتشر حول يديها وهجٌ خافت ينبعث من الثوب الممزق، وكأنّ الخيوط المقطوعة تحاول أن تهمس لها قصةً ضائعة تفتّحت أمام عينيها صورٌ متحرّكة من الماضي، مشاهد لحياة كانت في القرية منذ زمن بعيد ، رأت نساء

يجلسن حول النار، يطرّزن الثوب بخيوط ملونة، ينسجن الأغاني التي تحمل سرّ الماء والنار رأت أطفالاً يركضون بين أشجار الزيتون، وسمعت ضحكاتهم تملأ الهواء ، لكن فجأة، جاء ظلام كثيف، بدأ يبتلع الألوان، وقام رجال بوجوهٍ مخفية بمحو الأسماء، ومزّقوا الأغاني، وأطفئوا النور

رجع بها المشهد إلى الحاضر، حيث الثوب الممزق يتدلّى على الجدار، كأنه يئن من فقدانه رفعت غيداء رأسها، ونظرت إلى سلام بعزم جديد في عينيها

غيداء:
"كيف أستطيع أن أعيد لهم نورهم؟ كيف أحيي الأغاني التي ماتت؟"

رفرفت سلام بجناحيها، وقالت:

سلام:
"ابدئي من قلب القرية، حيث ينبض سر الماء والنار، هناك ستجدين أولى خيوط النسيج الغافي لا تخافي، سأكون معكِ خطوة بخطوة، أوجهك وأحميكِ من مخاطر الظلال التي تنتظر في الخفاء."

بعد لحظة، أضافت سلام بنبرة أكثر حيوية:

"لا تخافي، يا غيداء، فبين خيوط النسيج الغافي ستجدين القوة والضوء كل رمز تكتشفينه هو خطوة نحو استعادة الروح والذاكرة، وأنا هنا لأرشدك وأحميكِ من مخاطر الظلال التي تحاول أن تمحو النور."

تنفّست غيداء بعمق، شعرت أن الرحلة قد بدأت فعلاً، وأن الأمل يملأ قلبها، فشدّت الخطى باتجاه قلب القرية، حيث الأسرار والرموز بانتظارها ،تحركت غيداء بخطى حذرة وسط القرية النائمة، تلامس بيديها جدران البيوت التي علاها الغبار، تشمّ في الهواء رائحة النعنع اليابس وشيح الذاكرة. كانت النوافذ مغلقة كأنها جفون نائمة منذ قرون، والأبواب موصدة بأقفال من صمت
"سلام" كانت تحلق فوقها، تتنقّل بين أسلاك الغسيل المهترئة وأغصان اللوز اليابسة، ترسم بحركتها دروباً من الأمل
توقفت غيداء أمام بئر قديم في ساحة صغيرة تتوسط البيوت، نظرت إلى أسفله فلم ترَ سوى ظلالها تنكسر في ماءٍ راكد.
وفجأة... انقطع السكون ، صوت خافت لكعب حذاءٍ فوق الحصى ، رفعت نظرها، فرأت شابًا يقترب من جهة الطريق القديمة المؤدية إلى عين الرمان. كان يحمل قربة ماء، وملامحه تشبه الأرض التي تسير عليها...عيناه بندقيتان، وشعره مسوّى كجدائل جدّاتٍ كنعانيات توقف على بعد خطوات منها، رمقها بنظرة

عميقة، كان وجهه مألوفًا بطريقة غريبة... كأنّها رأته من قبل في حلم أو صورة باهتة.

غيداء: "مَن أنت؟ وكيف لا يربكك هذا السكون؟"

ابتسم الشاب، ومسح العرق عن جبينه، وقال: "اسمي كنعان. أنا من هذه القرية... أو ما تبقّى منها."

رفرفت "سلام" فوقهما، وهبطت على حافة البئر، كأنّها تراقب المشهد بعين خبيرة.

كنعان (وهو ينظر إلى الحمامة): "لم أرَ طائرًا يتبع شخصًا بهذه الطريقة من قبل... يبدو أن لكِ شأنًا هنا."

غيداء (بتردّد): "أنا... لا أعلم تمامًا، كل شيء بدأ حين وجدت النسيج الغافي، و... وجِئت عبر بوابة من الضوء."

سكت كنعان لثوانٍ، ثم قال: "بوابة من الضوء؟ إذًا لستِ من هنا، لكنكِ وصلتِ كما وصل غيرك من قبل..."

نظرت إليه غيداء بحدة: "غيري؟ تقصد أن هناك آخرين؟!"

كنعان: "ليس كثيرين... أغلبهم لم يفهموا الرموز،

فتاهوا في ظلال الذاكرة. لكنكِ مختلفة، لأنكِ رأيت الثوب... وهذا يعني أن النسيج اختارك."

غيداء:
"كيف يمكنني أن أحمي هذا النسيج إذا لم أكن أعرف من أين أبدأ؟"

كنعان نظر نحو الأفق حيث التلال والبيوت المهجورة، وقال بنبرة هادئة:
"القرية تحمل أسرارها في كل حجر وكل خيط. هناك أماكن لا يجرؤ الكثيرون على الاقتراب منها، لكنها تحمل مفاتيح الماضي."

سلام رفرفت بجناحيها مرة أخرى، وأضافت بصوت ناعم:
"لن تكوني وحيدة في رحلتك، سأُرشدكِ إلى الخيوط التي تحتاجينها، وكنعان سيكون عونك بين أهل القرية."

ابتسم كنعان، وأضاف:
"لكن عليك أن تعلمي، الطريق لن يكون سهلاً، هناك من يحاول أن يطمس كل أثر للنسيج الغافي أعداؤنا ينتظرون في الظلال."

غيداء شدّت الثوب حولها بإحكام، وقالت بحزم:
"إذاً لنبدأ. لا يمكن أن نسمح لهم بأن يمحو تاريخنا."

مع غيداء وكنعان يسيران معًا بين أزقة القرية الصامتة، بدأ الليل ينحسر، وظهرت أولى خيوط الفجر فوق التلال.

كنعان أشار نحو بيت مهجورٍ على طرف القرية وقال:

" هناك، في ذلك البيت، وجد أجدادي وثائق قديمة وأدوات نسيج. ربما تجدين فيها شيئًا يفيدك."

غيداء نظرت إليه بعينين متقدتين، ثم اتجهت نحو الباب المتهالك، ورفعت يدها تلامس الخشب القديم، فانتشر حولها وهج خفيف من خيوط النسيج الغافي داخل البيت، رائحة الماضي ملأت الأجواء، والجدران تحمل رموزًا غامضة محفورة، تراقصت خيوط الضوء على الرسوم، كأنها تحاول إخبارهم قصة لم تروَ بعد.

سلام رفرفت بالقرب منهم، وصوتها الناعم قال:
"ابدئي بقراءة هذه الرموز، فكل غرزة تحمل سرًا ينتظر من يكتشفه."

كانت هذه الخطوة الأولى في رحلة غيداء لفك شيفرة النسيج الغافي، التي سترسم بها ملامح تاريخ الأرض وتراثها.

غيداء (وهي تلمس الرموز بنعومة):
"هذه النقوش... تبدو كأنها تروي قصصًا عن الأرض وعن الناس، لكن لا أفهم معانيها كلها. كيف أقرأها؟"

كنعان (بصوت هادئ واثق):
"كل رمز يحمل رسالة، ولكل غرزة معنى، عليكِ أن تستمعي للنسيج، لا تكتفي بالنظر فقط."

سلام (مرفرفة حول غيداء):
"النسيج يتحدث بلغة القلب، تحتاجين أن تفتحِي روحكِ له، لتشعري بالقصص والذكريات التي يخفيها."

غيداء (بتردد):
"وكيف أعرف إذا كنتُ قادرة على ذلك؟ ماذا لو فشلتُ؟"

كنعان (مبتسمًا):
"لن تكوني وحدكِ، نحن معكِ، وقوتكِ الحقيقية في إيمانكِ برسالتك."

سلام (بنبرة حنونة):
"ابدئي بخطوة صغيرة، وثقي بأن كل غرزة تقتربين منها هي نور جديد يُضيء الطريق."

غيداء (بصوت أكثر ثقة):

" لن أدع تاريخنا يُمحى."

بدأت غيداء تركز بعمق على النقوش، تمرر أصابعها ببطء على الخطوط المتعرجة، وكأنها تحاول أن تسمع همسات الماضي من خلالها،في تلك اللحظة، بدأ الضوء ينبعث من الرموز بشكل أبطأ، فتراقصت خيوط الضوء حول يديها، وشعرت بنداء داخلي يربطها بتاريخ الأرض وقفت غيداء تتأمل الرمز المضيء على الثوب بتركيز، تخطّ أصابعها خيوط القماش برقة، ثم همست لنفسها:
" هذا... هذا المفتاح... مفتاح الذاكرة ليس زخرفة عابرة، بل سرٌ دفين يحوي قوة الماضي وحكايات أجدادي بهذه العلامة يمكنني أن أفتح أبواب الزمن المخبأة في النسيج الغافي، وأعيد ما ضاع من تاريخنا،وأحمي تراثنا من النسيان."

رفعت عينيها نحو السماء، وشعرت بنبض جديد في قلبها، يردد: "لقد بدأ القدر..."

التفتت نحو كنعان وسلام وهي تلمس الرمز المتوهج على الثوب بنظرة هادئة وثقة):
" هذا الرمز... يُدعى مفتاح الذاكرة."

كنعان (يرفع حاجبيه بنبرات تأمل):
"مفتاح الذاكرة؟ لقد سمعت به في القصص القديمة، لكن لم أظن أن أراه يومًا."

غيداء (بثقة متزايدة):
"هو سر النسيج الغافي، الرابط بين الماضي والحاضر، وبدونه لن نتمكن من استعادة تراثنا."

كنعان (يومئ برأسه بتؤدة):
"صحيح، يقال إنه رمز القوة الذي يحمي الهوية والذاكرة من عتمة النسيان."

سلام (تطير بهدوء حول غيداء):
"مفتاح الذاكرة يحمل في طياته أسرارًا عظيمة، ومعه تبدأ رحلتك الحقيقية."

غيداء (بحزم وثبات):
"علينا أن نعرف كيف نستخدمه بشكل صحيح، لنحمي النسيج الغافي من محاولات الطمس والاندثار."

كنعان (بصوت هادئ):
"بهذا المفتاح نستطيع فتح طريق يقودنا إلى قلب النسيج الغافي، حيث تكمن الأسرار والخفايا."

توقفت غيداء للحظة، تستشعر ثقل الكلمات التي قالها كنعان، ثم نظرت إلى سلام التي رفرفت بهدوء حولها، وكأنها تؤكد ذلك الصمت المهيب.

غيداء:
"فلنبدأ إذن، الطريق أمامنا طويل، ولن يكون سهلاً. لكن مهما كان الظلام، سيظل النور في قلوبنا دليلنا."

كنعان (بصوت حازم لكنه مليء بالأمل):
"سنقف معاً، يدًا بيد، لنمنح النسيج الغافي الحياة من جديد."

ابتسمت سلام، وأخذت ترسم في الهواء خطوطاً من نور، تفتح من خلالها بوابة صغيرة أخرى، أعمق وأسرع نبضاً.

سلام:
" هيا يا غيداء، الوقت لا ينتظر. كل خيط وكل رمز يحمل أسراره، و نكتشفها معاً خطوة بخطوة."

رفعت غيداء ثوبها بخفة، وشعرت بالقوة تتدفق عبر كل غرزة، كما لو أن النسيج نفسه ينبض بالحياة معها ، خطت قدميها نحو البوابة المضيئة، وكان قلبها يخفق بقوة، وهي تعرف أن وراء هذا الضوء ينتظرها مصيرها... وحكاية تراث شعبها التي لن تموت كانت غيداء تمشي بخطًى واثقة لكنها مغمورة بالدهشة، تتقدّم داخل البوابة، وثوبها المطرّز ينسدل برفق حول جسدها،كأنه يحمل ذاكرة نساء كثيرات سبقتها وغَزلن الحكايات في خيوطه،شعرها الكريستالي انسدل فوق

كتفيها، يلمع تحت ضوء النسيج المتراقص،وفي عينيها البندقيّتين اشتعلت أسئلة كثيرة،لكن خلف ذلك، كان بريق من التصميم... من الحنين... من الانتماء،تابعت غيداء خطواتها داخل البوابة، وأصدقائها يتبعونها بترقب، كل منهم يحمل في عينيه مزيجًا من الفضول والخوف.

توقفوا في مساحة واسعة تكسوها خيوط ملونة تتداخل وتتشابك كأنها نسيج حي يتنفس، والأضواء تتراقص بينهما، تملأ الجو بسحر غامض.

كنعان، بنظرة تأملية قال:
" هذا هو قلب النسيج الغافي... هنا تكمن ذاكرة الأرض وحكاياتها."

سلام رفرفت بجانب غيداء، وقالت بصوت ناعم:
" انظري حولكِ، كل خيط هنا يحمل قصة، وكل رمز يحكي سرًا دفينًا. علينا أن نقرأ هذه الخيوط بعناية."

اقتربت غيداء من جداريات نسيجية ضخمة، حيث بدأت الرموز تتوهج واحدة تلو الأخرى، وسمعت همسات خافتة كأنها أصوات نساء قديمات تنسجن الحكايات من جديد تابعت غيداء خطواتها بحذر، تلمس خيوط النسيج الملونة التي تتلوّن تحت أطراف أصابعها وكأنها نبض حي ينبعث من قلب الأرض.

كنعان ينحني ليدرس إحدى الرموز المنقوشة على الجدار النسيجي، ثم قال بصوت خافت:
"كل رمز هنا له معنى... بعضها يحكي عن مآثر الأجداد، وبعضها يحذر من مخاطر لم نعد نفهمها."

سلام تحلّق حول غيداء، مرسلة خيوطًا خفيفة من الضوء تنير الطريق:
"انظري، تلك الغرز على شكل حمامة... ترمز إلى السلام، وقصص الوحدة التي كانت تجمع القبائل."

شعرت غيداء بوخز غريب عند إحدى الزوايا، حيث كانت هناك خيوط متشابكة وكأنها تحاول أن تخبرها بشيء مخفي، مدّت يدها ببطء لفك التشابك، وإذا بها تكتشف نقشًا صغيرًا لم يكن ظاهرًا من قبل، شكل مفتاح صغير من ذهب متلألئ.

غيداء (بدهشة): "هذا... هذا يشبه مفتاح الذاكرة، لكن صغير وخفي هنا. هل يعني أن هناك طبقات أعمق من الأسرار تنتظرنا؟"

كنعان (مبتسمًا): "هذا ما يجعل النسيج الغافي حيًا... لا يكشف عن نفسه بسهولة. علينا أن نكون صبورين و متيقظين."

فجأة، بدأ الهواء ينساب حولهم بهدوء، ومعه لامست

ألوان النسيج ملاحظة خافتة، وكأن المكان يناديهم، فتوقفوا جميعًا لحظة صمت، يستمعون إلى الهمسات التي تخرج من بين خيوط النسيج.

سلام (بصوت هادئ): "إنها الذاكرة... تنادي لمن يعرف أن يستمع."

غيداء (بابتسامة صغيرة): "حسناً، لنبدأ الرحلة حقًا. فلنسيج الغافي يحمل بين خيوطه ما لا نعرفه بعد."

سلام رفرفت بجانبها وقالت:
"كل خيط هنا قصة... وكل رمز سر. علينا أن نكون حذرين."

بخفة، كما لو أن شيئًا يُسحب من أعماقها.
وقفوا أمام نسيج ثابت، لا حركة فيه.

غيداء همست:
"كأن الحياة توقفت هنا..."

كنعان وضع يده على الخيوط، فتوهجت رموز كنعانية تحمل معاني الخيانة والنسيان واللعنة.
فجأة انطفأ النور، وارتجّت الأرض تحت أقدامهم، ثم

خرج صوت أجشّ يتردّد في الظلام:
"من يوقظني من سُباتي؟ من تجرّأ أن يلمس ما طُمس؟"

انبثق من الظلال كيان ضخم، يتشكل من خيوط محترقة، تتلوى كالأفعى، وعينان تتوهجانْ بنار رمادية...

كنعان صرخ:
"إنه العنّام! حارس النسيج الممزق!"

غيداء تماسكت، رفعت مفتاح الذاكرة، فأضاء بشدة، لكن الضوء لم يؤثر كثيرًا.
العنّام اندفع نحوهم، ضرب الأرض بيده النسيجية، فتفجرت خيوط سوداء طارت نحوهم كالسهام.
كنعان دفع غيداء جانبًا:
"انتبهي! خيوطه تسحب الذكريات!"

أصيبت سلام بخيط على جناحها، فسقطت متألمة:
"أشعر... وكأنني أنسى...اسمي...!"

ركضت غيداء نحوها، ضمّتها بكفّيها، وهمست قرب جناحها المرتجف:
"سلام... تذكّري رائحة الأرض بعد المطر، زقزقة الصباح في بيت جدتي، خيط البرتقال المطرّز بحنين العودة... تذكّري!"

اهتزّ جناح سلام، ورفرفت عيناها بضوء خافت، ثم قالت بصوت خافت كأنّه ينبعث من الذاكرة:
"أنا ما زلت هنا... أنا خيط من هذا التراث، لن يُنتزع من النسيج!"

كنعان واجه العنّام، أخرج خنجرًا صغيرًا منقوشًا برموز قديمة، حاول طعنه، لكن الخنجر ذاب في جسده النسيجي.
ضحك العنّام بصوت مفزع:
"لا شيء يقتل من صُنع من النسيان... لا شيء!"

رفعت غيداء المفتاح، وأغمضت عينيها، تحاول تفعيل قوته... لكن الرمز ما زال مغلقًا.
"لماذا لا يعمل؟! المفتاح بيدي... لكن!"

صوت داخلي همس لها:

> "المفتاح لا يُفعَّل إلا بالذاكرة التي لا تُنسى... ابحثي في داخلك."

فتحت عينيها، ونظرت نحو العنّام مباشرة، تتحدى نظراته.
"أنت ظلّ، وأنا من نور. أنت نسيان، وأنا ابنة الحكاية.

أنا... حفيدة جدتي التي حيكت أثوابها بدموع التهجير، أنا من تحفظ التراث بالخيط والإبرة!"

أضاء المفتاح فجأة، وتشكل خيط ذهبي من قلبه، التفّ حول جسد العنّام، بدأ يحترق، يصرخ، لكنه لم يسقط.
هاجمهم من جديد، ضرب كنعان، أسقطه أرضًا، ثم حاول الوصول إلى غيداء.

سلام، رغم ألمها، طارت بسرعة ولفّت خيوطها حول يديه:
"لن تلمسها!"

العنّام ضربها بقوة فطارت بعيدًا.
غيداء صرخت:
"كفى!!"

غرزت المفتاح في قلب الأرض، في مركز النسيج، فخرج ضوء ساطع، كأن الخيوط كلها صرخت معها.
"استيقظي أيتها الذاكرة... حان وقت الحكاية!"

انهارت الخيوط السوداء، وتفكك العنّام صرخة بعد صرخة، حتى عاد إلى لا شيء.
سكن المكان، وعادت الألوان الزاهية.

سلام بعد أن استعادت قوتها:

"كنا على حافة النسيان..."

غيداء، متعبة، قالت:
"لكنه لم ينتهِ... هذا كان أول ظل فقط. الطريق ما زالت طويلة، والمفتاح... ما زال يحمل أسرارًا علينا اكتشافها."
حين هدأت الأرض وذابت ظلال العَنام في طيف رمادي، وقفت غيداء تلتقط أنفاسها، والجراح تملأ المكان أكثر من الغبار. التفتت فجأة فلم تجد كنعان.

"كنعان!" صرخت، وركضت بين الصخور المبعثرة وبقايا التطريز المتناثر.

كان ممدّدًا على الأرض، وقد وخزته أنياب الظلام، وجرح غائر يعصف بجانبه.

اقتربت منه، جثت على ركبتيها، ورفعت رأسه برفق. وجهه شاحب، لكنّه حي.

"لا يمكنك أن تتركنا الآن، لم تنتهِ مهمتنا بعد." قالت بنبرة مختنقة.

أشار بيده المرتجفة نحو البعيد وهمس: "الأرض... تعرف كيف تشفي أبنائها، أنا فقط تعبت قليلاً."

قبل أن تُكمل غيداء كلامها، سُمِع صوت عصا تضرب الأرض بإيقاع هادئ، وخطوات تقترب. خرجت من خلف شجرة زيتون عجوز ذات ملامح نُسجت من تراب الجبال. تلفّ كتفيها عباءة مطرّزة بأشكال تقليدية لم ترَها غيداء من قبل.

قالت العجوز بصوت يحمل نبرة زمن قديم: " هذا ابن الأرض... والأرض لا تخذل أبنائها."

أشارت الى غيداء ان تساعدها بحمل كنعان معها دخلوا كوخًا من حجارة قديمة تغطيه أعشاب الزعتر والميرمية.

أشعلت النار، ووضعت في الماء أعشابًا تعرفها غيداء من قصص جدتها: ورق سدر، زعتر بري، قشور رمان، ووردة جوري يابسة.

قالت العجوز وهي تضع الكمادات على جرح كنعان: "من قلب جبال الخليل جلبنا هذا الدواء... كانت جدتي تعالج به الثوار."

جلس الجميع بصمت، يتأملون كنعان، وقد بدأت أنفاسه تستقر، ولونه يعود إلى حيويته شيئًا فشيئًا.

حين هدأ كنعان واستقرت أنفاسه، جلست العجوز بالقرب

منهم ونظرت إليهم بعينين تحملان حكمة الزمن.

قالت بصوت هادئ ملؤه التجارب:
"أنا رقية، عشت بين جبال الخليل أكثر من ثمانين عامًا، ورثت عن أجدادي أسرار الأرض ونباتاتها."

نظرت إلى غيداء بابتسامة دافئة:
"وأنتِ يا فتاة، من أي قرية أتيتِ؟ وما قصة هذه المهمة التي حملتك إلى هنا؟"

ردت غيداء، وقد استجمعت قواها:
"أنا من قرية بيت فجار، أبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا. مهمتي هي حماية النسيج الغافي، التراث الذي يحفظ ذاكرة شعبنا وأرضنا."

ابتسمت رقية، ثم تحولت نظرتها إلى سلام وكنعان:
"وأنتما؟ أخبرانيّ عن قصتكمُا، وكيف وصلتم إلى هنا."

قالت سلام:
"أنا حمامة السلام، رفيقة غيداء في هذه الرحلة. أمتلك قدرة على قراءة خيوط النسيج وذكريات الأرض."

أما كنعان، فأجاب:
"أنا من قرية عين الرمان، أبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا. أبحث عن الحقيقة المدفونة في تاريخنا،

وأسعى لمساعدة غيداء في مهمتها."

جلست غيداء على طرف الكوخ، ورفعت عيناها نحو رقية، تسألها بفضول وقلق:
"يا ست رقية، كيف عرفتي هذه الأعشاب؟ وهل يمكنها حقًا أن تعالج ما أصاب كنعان؟"

ابتسمت رقية بحنانٍ عميق، وقالت:
" هذه الأعشاب ليست مجرد نباتات، بل هي تراث أجدادنا، معرفة توارثناها عبر الأجيال من أمهاتنا وجداتنا، ومن رحم الأرض الفلسطينية. كل نبتة هنا تحمل قوة شفاء، وحكمة قديمة ترويها."

وأشارت إلى الأعشاب المتنوعة أمامها، وبدأت تشرح:
" هذا ورق السدر، معروف بخصائصه المطهرة، يُستخدم لتنظيف الجروح ومنع الالتهابات. أما الزعتر البري، فهو مطهر طبيعي قوي ومضاد للبكتيريا، ويُستخدم أيضاً كمهدئ للآلام. قشور الرمان تحتوي مضادات أكسدة تسرّع الشفاء، و وردة الجوري المجففة تُعزّز من قوة الأنسجة وترطب الجلد."

رفعت غيداء حاجبها مستغربه، وقالت:
"حقًا، هذه النباتات تحمل قوة شفاء عظيمة."

ردّت رقية:

"الأرض تمنحنا دواءها، ونحن فقط من نعرف كيف نستخرج منه الحياة."

مع مرور الوقت، بدأ التعب يغلب الجميع بعد يوم مليء الأحداث والمعلومات.

نظرت رقية إلى كنعان وقالت بصوت هادئ:
"الآن، يجب أن يستريح جسمك لتبدأ الأعشاب عملها.
النوم هو أول خطوات الشفاء."

أعدّت لهم أماكن للنوم داخل الكوخ، وبسطت على الأرض حصيرًا ناعمًا.

جلست غيداء بجانب كنعان، ورفعت الغطاء عليه برقة، ثم همست:
"نم بهدوء، فالأرض تحرسك."

سلام وجلست بهدوء على رف خشبي بجانب النافذة، تراقب النجوم المتلألئة في السماء.

روّدت رقية النار وأغلقت نوافذ الكوخ، وقالت لهم:
"نموا الآن، فالغد يحمل معه المزيد من الحكايات."

وبينما خيم السكون، غطّى النوم الأجساد المتعبة، وحلّ السلام بينهم وبين الأرض التي تحتضنهم.

غطى السكون الكوخ بهدوء، وغطّ الجميع في نوم عميق يحملهم إلى عوالم أخرى.

في نومها، رأت غيداء حكاية قديمة تتكشف أمام عينيها؛ نساء يحيكن نسيجًا ضخمًا من خيوط الضوء والظل، ينسجن به قصص الأرض وشهدائها، وكل خيط ينبض بحياة.

سمعت صوتًا خافتًا يناديها:
"يا حفيدة التراث، أنتِ الحارسة القادمة، وعليك أن تحفظي هذه الذكريات في قلبك."

استيقظت غيداء فجأة، تنفَسها متسارع، نظرت حولها فوجدت رقية تراقبها بابتسامة هادئة.

قالت رقية بهدوء:
"الأحلام هي رسائل الأرض، استمعي لها جيدًا."

ابتسمت غيداء وقالت:
"أشعر أن الطريق أمامنا أصبح أوضح، لكنني ما زلت أخشى القادم."

ردت رقية:
"الخوف طبيعي، لكن الأرض معكِ، ونحن هنا

لنساعدك."

وفي الخارج، تلألأت النجوم، وكأنها ترسل إشارات أمل جديدة لهم جميعًا.

.

مع انبثاق أول خيوط الفجر،
تسللت أشعة الشمس الذهبية عبر نوافذ الكوخ الصغير،
لتلامس وجوه النائمين برقة.
غيداء، وقد ارتخت عيناها بنعاس الليلة الماضية، فتحت جفنيها ببطء، ثم جلست تتأمل الضوء المتسلل، وكأنها تستقبل وعدًا جديدًا من هذا النهار.

رفعت بصرها فرأت كنعان لا يزال غارقًا في نوم عميق، وعلى الحافة الحجرية قرب الباب، جلست "سلام" — تلك الحمامة البيضاء التي لم تكن مجرد طائر، بل رفيقة طريق، وصوت حكمة — تراقب العالم بصمت مطمئن.

قالت "سلام" بهدوء وهي ترفرف بجناحيها:
«استيقظي يا غيداء، فالنهار لا ينتظر أحدًا، وقد آن أوان العمل.»

نهضت غيداء وهمست:
«ما زال الصباح غضًّا يا سلام، ولكنك على حق... أمامنا

الكثير لنفعله اليوم.»

في تلك اللحظة، تحرك كنعان وتثاءب، ثم جلس يمسح عينيه قائلاً:
«أظن أنني لم أنم بهذه الطمأنينة منذ سنوات...»

ردّت "سلام" بابتسامة خفيفة وهي تمشي بخطوات رشيقة على حافة النافذة:
«هذا المكان يحمل في جدرانه سكينة الأجداد، فكيف لا تنامون بسلام؟»

دخلت رُقيّة من الخارج وهي تحمل سلة فيها بعض الخبز والزعتر:
«صباح الخير أيها الغافلون. تعالوا لِتفطروا، فالشمس قد ارتفعت، واليوم أمامكم طويل.»

جلسوا جميعًا يفترشون الأرض، وأمامهم الطعام البسيط، يأكلون بصمت، ولكن أعينهم تلتقي بينهم، كأنهم يتشاركون عهدًا غير منطوق.

قال كنعان وهو يمضغ لقيمته:
«ما العمل اليوم يا ست رقية؟»

أجابت وهي تضع قطعة خبز على فمها:
«علينا أن نرتب المخزن القديم، ونزيل الحجارة

المتراكمة في الساحة الخلفية، ونصلح باب القبو الذي ما عاد يُغلق جيدًا. كما أن النسيج الغافي يحتاج إلى التهوية والفرز.»

قالت غيداء بحماسة:
«أنا سأبدأ بالمخزن، أحبّ الأماكن التي تحمل رائحة الزمن.»

هزّت سلام رأسها:
«ولكن احذري... فالأشياء القديمة أحيانًا تُخفي ما لا يُتوقع.»

ضحك كنعان وهو ينهض:
«وهل تقولين إننا سنواجه الأشباح؟»

ردّت "سلام" بنبرة مازحة:
«ربما... أو ذكرياتٍ لم تنسَ بعد.»

بدأت غيداء ورفاقها بتنظيم المخزن القديم، حيث الكراتين المتربة والأدوات المبعثرة. كانت أصابعها تتلمس الأشياء وكأنها تلتقط نبض الزمن بين أيديها، تصفّ كل قطعة بحنان، تحاول أن تفهم ما قصته.

كنعان كان يحمل الحجارة الواحدة تلو الأخرى إلى الساحة الخلفية، يرن صدى سقوطها على الأرض وكأنه

يقص قصة صراعٍ طويل بين الإنسان والأرض.

سلام، رغم أجنحتها الرقيقة، كانت تراقب المكان من النافذة، تحلق أحيانًا داخل الكوخ لتجمع بعض الريش الناعم الذي يلوّن أرضية المكان، وكأنها تحاول تنظيف الذاكرة نفسها.

في لحظة تعب، جلست غيداء تستند إلى جدار الكوخ، تنظر إلى السماء التي بدأت تميل إلى اللون البرتقالي مع اقتراب الغروب، وقالت بصوت خافت:
"كم من قصة مخفية هنا، تنتظر أن تُروى..."

رد عليها كنعان، وهو يضع يدَه على كتفها:
" هذه الأرض تحفظ كل شيء، وأنتِ من سترسمين الفصل القادم."

لم يكن العمل سهلاً، فقد حملوا أكوام الحجارة، وأعادوا ترتيب المخزن حتى بدأ المكان ينبض بالنقاء والترتيب، وكأن الروح عادت إلى جدرانه.

مع غروب الشمس، عادوا إلى داخل الكوخ، متعبين، لكن بقلب مليء بالأمل.

جلست رقية معهم، وقالت بنبرة مفعمة بالحكمة:
"اليوم سأحدثكم عن عادات أجداد كنعان، الكنعانيين،

الذين عاشوا في هذه الأراضي منذ آلاف السنين. كانوا يقدسون الأرض ويعشقونها، وكانوا يعرفون قيمتها من خلال طقوسهم وعاداتهم."

نظرت غيداء بفضول:
"ماذا عن تلك العادات يا ست رقية؟ هل ما زالت حية في مكان ما؟"

ابتسمت العجوز وقالت:
"بالكاد، لكن في طقوسنا اليومية، نجد بصمة من تلك الحضارة العريقة. الكنعانيون كانوا يبدأون يومهم بتقديم الشكر للأرض من خلال قرابين بسيطة من الأعشاب والنباتات، اعتقادًا منهم أن الأرض تعطي وتمنح فقط لمن يحترمها."

أشارت إلى مزهرية صغيرة فيها بعض أعواد الزعتر والريحان، ثم أكملت:
"وكانوا يحتفلون بالمواسم، خاصة موسم الحصاد، بليالي تُضاء فيها النار، ويُروى فيها القصص، وتُغنى الأغاني التي تُعلم الصغار عن جذورهم وهويتهم."

نظرت سلام بدهشة:
" هذه الطقوس تبدو جميلة... هل يمكننا أن نتعلم منها شيء يجعل رحلتنا أقوى؟"

ردت رقية:
"بالتأكيد، في الوحدة والقوة التي يجدونها في التواصل مع الأرض والسماء. كل ما عليكم فعله هو أن تفتحوا قلوبكم وتهتموا بما يحيط بكم .

عم الهدوء في المكان للحظة ثم اكملت قائلة:

" سأروي لكم قصة يانا وعادات حضارتها الكنعانية .

قصة "يانا" — ترويها رُقيّة لغيداء وكنعان وسَلام، قرب موقد المساء

قالت رُقيّة، وهي ترفع قطعة مطرّزة قديمة بين يديها:

> "ذات زمن كنعاني بعيد، كانت هناك فتاة تُدعى يانا. وُلدت في قرية تُطلّ على السفوح الشرقية لوادي قانا. كان يُقال إنها وُلدت وفي يدها خيط أزرق، كما لو أن القدر أرادها ناسجة للحكايات."

ذات صباح، حين احتجب القمر وبزغت شمس حمراء كأنها مُطرّزة بدم الذكرى، خرجت يانا مع النساء إلى ساحة الطين — هناك، حيث كانت النسوة يجتمعن كل

أول خميس من الشهر لِيحيكن "نسيج العهد"، نسيجًا يُخبّئ أسرار العائلة وقوّتها.

في تلك الليلة تحديدًا، كانت هناك أخبار عن اقتراب الغرباء من التلال المجاورة. توتّرت الوجوه، لكن الخياطة لم تتوقف. بل على العكس، حين بدأ القلق يتسلّل كالدخان، جلست العجوز خِطيا، ورفعت صوتها العجوز تغني:

> يا خيطَ المدى... اربطِ الظلَّ بالعُلى
واشرُدْ بنا... في الدربِ لا مَنزلَ لنا

همهمت النسوة من بعدها، واحدة تلو الأخرى، يرددْن الكلمات، والخيوط تتراقص بين أصابعهن:

> إنْ نامتِ الأرضُ... فاقرأْ غفوتَها
وزرْ على الجرحِ نُقوشًا مِن حِكَمْ

في تلك اللحظة، وقفت يانا، أمسكت خيطها الأزرق، وغرسته في قطعة القماش. نظرت إلى ما حولها، وقالت:

> "نحن لا نخيط القماش، نحن نخيط الذاكرة. وما ننسجه الليلة... سيحمي من يأتي بعدنا."

ثم انضمّت إلى الغناء:

> نَسِجْناكَ مِنْ دَمْ التينِ والبيلسان
فَكُنْ عهدًا... على الكفِّ لا يُنثَرْ

لم تكن تلك الليلة عادية. كانت بداية مقاومة ناعمة، تبدأ من نسيج، وتنتهي في أعماق الجذور بعد أن نسجت أول خيط في نسيج العهد، وارتفع صوت الأغنية الكنعانية بين النسوة...

في صباح اليوم التالي، كانت السماء مكفهرةً كأنها تحفظ في صدرها نبأً حزينًا. وبينما كانت يانا تحزم القمح في السلال استعدادًا للرحيل نحو الحقول، ظهرت خيوط دخان خفيفة تتصاعد من جهة الغرب.

ركض الصغير "أدوم"، أحد أطفال القرية، وهو يصيح:

> "يانا! الرجال يقولون إن الغرباء اقتربوا من عين الكنعان!"

شدّت يانا حزام ثوبها المطرّز، وركضت مع النسوة نحو المضافة حيث اجتمع شيوخ القرية. كان الشيخ "سِبيل" واقفًا هناك، يلوّح بعصاه، قائلاً:

> "لن نترك الأرض. مَن ينسى ماؤها، يضيع في التيه."

تقدّمت يانا، وبيدها نسيج العهد، الذي أنهته في السحر مع بقية النسوة. كان قطعة من القماش مطرزة بألوان الكنعانيين: الأزرق للبحر، الأخضر للحقول، الأحمر لدم الأرض، والأسود لظلال الغزاة.

قالت بصوتٍ هادئ لكن ثابت:

> "ليس سيفًا ولا سهمًا نحمل، بل ذاكرة. نزرعها اليوم... وتحصدها الأجيال. دعوني آخذ النسيج إلى عين الكنعان. ليكون بركة لها وعلَمًا لنا."

صمت الحشد.

ثم أفسحوا لها الطريق.

**

انطلقت يانا في درب الصخر، بصحبة طفلين من الرعاة.
كانوا يتجنّبون أعين الغرباء، يختبئون خلف السنديان،
حتى وصلوا إلى عين الكنعان، نبع الماء المقدّس.

هناك، علّقت نسيج العهد على صخرة عالية، ورفعت
صوتها بالأغنية التي أطلقتها العجوز خِطيا قبل ليلة:

> "يا خيطَ المدى... اربطِ الظلَّ بالعُلى
وازرعْ دمي في الندى... لا تُراني خائفًا"

وفجأة، كما في الأساطير، هبّت ريح خفيفة، كأن الأرض
استجابتْ للدعاء.

**

في المساء، حين عادوا للقرية، ساد صمت غريب. لم يأتِ الغزاة.

في اليوم التالي، قال أحد الرعاة إنهم شاهدوا الغرباء يتراجعون نحو الشمال، وكأنهم أصيبوا بالدوار. قيل إنهم خافوا من الرموز المطرزة، أو ربما من الأرواح التي حُمِلت فيها.

لكن أهل القرية ظلّوا على يقين أن نسيج العهد لم يكن قماشًا فقط... بل كان صرخة أبدية في وجه النسيان.

**

أنهت رُقيّة الحكاية، وغيداء ما زالت تُمسك بطرف عباءتها، بينما كنعان يحدّق في النار وقد ارتجفت عيناه، وقال:

> **"وهل ما زال نسيج العهد هناك؟"**

ابتسمت رُقيّة، وقالت:

> **"أحيانًا... لا تحتاج أن تراه لتعرف أنه ما زال**

يحرسنا."

ساد صمتٌ مهيب بعد أن سكت صوت رقيّة.

ظلّت النار تهمس بلغة الجمر، تتقلب بخشوع، كما لو أنها تسمع القصة للمرة الأولى.

غيداء كانت أول من تكلّم، بصوت مبحوح مفعم بالتأثّر:

> "يا إلهي... كأنّني كنت هناك! رأيت يانا، سمعت صوت الأغنية، وشممت تراب عين الكنعان... كيف يمكن لامرأة وقطعة قماش أن تحمي أرضًا بأكملها؟"

رقيّة ابتسمت بحنان:

> "لأن ما خيطته يانا لم يكن غُرَزًا فقط، بل كان ذاكرتنا، وإرادتنا أن نعيش... حتى لو محوا أسماءنا."

كنعان أطرق برأسه، ثم قال:

> "ما كانت يانا وحدها... كانت هي وصوت أمهاتنا، ونقوش أجدادنا... يبدو أن كل شيء نفعله الآن، هو صدى لتلك اللحظة."

سَلام، الحمامة، نقرت الأرض ثم رفّت بجناحيها، وقالت بصوتها الناعم:

> "رأيت في عينيها نفس اللمعة التي رأيتها فيكِ، يا غيداء... المرأة حين تحب الأرض، تصير أقوى من الزمن."

غيداء نظرت إلى السماء، والنجوم بدت أقرب من أي وقت مضى. ثم تمتمت:

> "سأحفظ هذه القصة في قلبي... ربما سأنسج نسيجي الخاص في يوم ما."

رقيّة نهضت، جمعت أطراف الشال حولها، وقالت:

> "يكفي حديثًا لهذه الليلة... إن أمامكم نهارًا طويلًا غدًا."

**

تمدّد كنعان قرب الحطب، يدفن نصف وجهه بالعباءة ، تمددت غيداء بجانبه ولكن بزاوية أخرى، وعيناها تحدّقان في النجوم... وسَلام استقرت عند رأسها، تهمس لها بأغنية خفيفة من زمن بعيد:

> "نامي يا وردة السهل... نامي يا بنت الكنعان
الأرض بتحرس حلمك... و تخيط لك فستان"

**

وانطفأت النار ببطء...
واستيقظت التلال بهدوء على نبض النوم.

بداية اليوم الثاني

استيقظت غيداء على خرير مياهٍ خافتٍ من نافذة الطين الصغيرة. تسلّل ضوء الشمس الذهبي كخيوط قمحٍ، يلامس أطراف ثوبها المطرز عند حافته السفلى، فتذكّرت حلمها...

حلمٌ لم يكتمل.

وجهٌ مغمورٌ بالضباب، وصوتٌ أنثوي يهمس:

"ارفعي الغطاء عن النول المنسيّ..."

تنهّدت، ثم نظرت إلى كنعان الذي كان جالسًا قرب النافذة يحاول إصلاح سوارٍ من النحاس عُثر عليه بالأمس.

قالت وهي تفرك عينيها:

ـ "هل نمت؟"

قال: "حاولت ، لكن قصة يانا... بقيت تراودني."

وقبل أن يتبادلوا المزيد من الحديث، سُمِع صوت "سلام" الحمامة وهي تحوم حولهم:

ـ "هيا، استعدّوا. هناك من تنتظرنا منذ الشروق."

قالت غيداء بتساؤل:

ـ "من؟"

رفرفت "سلام" مجيبة:

ـ "أم المجد... المرأة التي تحفظ خيوط الماضي."

كان بيت "أم المجد" في طرف القرية، يطل على شجرة زيتون معمّرة، يُقال إن جذورها وصلت إلى العهد الكنعاني.

دقّوا الباب الخشبيّ ثلاثًا... ثم فُتح ببطء.

ظهرت امرأة معمّرة، ترتدي ثوبًا مطرزًا بخيوط فضيّة داكنة، يشبه الليل حين يُطرّز بالنجوم.

قالت بصوتٍ مهيب:
ـ "تأخّرتم... الخيوط لا تنتظر."
نظرت إلى غيداء نظرة طويلة، ثم همست:
ـ "أنتِ... رأيتِ النول، أليس كذلك؟"

ارتجفت غيداء، ثم أومأت.

أدخلتهم أم المجد إلى الغرفة الداخلية، وهناك، كان النول المغطّى بقماش أسود ينتظر، ككائنٍ نائم منذ مئات السنين.

قالت أم المجد وهي تزيح الغطاء:
ـ " هذا نول جدّتي... كانت تطريزاته تحفظ أسرار المرور بين العالمين."

ظهر النول مصنوعًا من خشب الزيتون القديم، لكن في قلبه وُجدت خيوط لمّاعة بلون الزمرد.

كنعان: "لكن... هذه الخيوط... ليست عادية."
أم المجد: "لا. هذه خيوط من نبتة الكنعانيّات، لا تُزرع... بل تظهر حيث تُروى القصة الصحيحة."

غيداء: "وما الذي نفعله هنا؟"

أم المجد: "أنتِ يا غيداء، سترين أول رمز، لكن عليكِ أن تطرّزيه وحدك. الرمز لن يُفتح إلا لمن تحمل النية الصافية، والذاكرة الحيّة."

ثم أخرجت رقعة قديمة، فيها رموز مطرّزة، لكن هناك جزء مفقود منها...
وقالت:
ـ "كل من حاول إعادة هذا الرمز... فشل. لأنهم نسوا. أما أنتم... فإن نجحتم، فستعرفون السرّ الأول في حماية النسيج الغافي."

جلست غيداء أمام النول، قلبها يخفق بشدّة.
لم تكن تعرف ماذا ستطرّز... لكن أصابعها بدأت تتحرّك وحدها، كما لو أن الخيط كان يحمل ذاكرة الأرض.

وفي اللحظة التي غرزت فيها الإبرة أول مرة، لمع النول كله بلون كنعانيّ قديم، وسُمِعت همسات كأنها من نساء عاديات من زمن مضى...

ثم انطفأ اللمعان...
قالت أم المجد:
ـ "البداية قد كُتبت. احذروا... من يرى الرمز، لن يبقى كما كان."

تراجعت غيداء خطوة إلى الوراء، ويدها لا تزال تمسك بخيط الحرير المتصل بالنول. قلبها ينبض كأن صوت النساء القديم لا يزال يرنّ في أذنيها.
رفّت جناحا سلام، واقتربت منها، كأنها تحاول أن تُطمئنها، لكن عيني الحمامة كانتا تلمعان بقلق غريب.

قال كنعان وهو يراقب النول: ـ "ما هذا الرمز الجديد؟... لم يكن في الكتب القديمة أي إشارة إليه."

نظرت أم المجد نحو الخيوط المتشابكة وقالت بهدوء عميق: ـ "إنه رمز العبور... لم يُطرَز منذ أن فُقدت الطريق إلى 'دار الرُقي'."

تبادلت العيون النظرات، وساد صمت ثقيل، كأن الحروف التي خرجت من فم أم المجد قد أيقظت شيئًا كان نائمًا في زوايا النسيان.

قالت غيداء بصوت منخفض:
ـ "دار الرُقي؟ ما هي؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل..."

أجابت أم المجد:
ـ "بل سمعتِ، لكنك لم تنتبهي. إنها أرض الأسرار الأولى... حيث خُبِّئت رموز الكنعانيين السبعة. فيها، تترابط الخيوط كلها، ويُحفظ سر النسيج الغافي."

اقترب كنعان من النول، يحدّق في الخيط الجديد الذي تشكّل على هيئة دائرة تتقاطع فيها خطوط ملتفة، تشبه الشمس لكن في قلبها ظلّ.
قال:
ـ "وكيف نصل إليها؟"

أجابت أم المجد وهي تمسك بيد غيداء:
ـ "لن تصلي إليها بالطريق، بل بالسؤال. هذا الرمز لن يفتح إلا لمن عرف ذاته. والعبور لا يكون بالأقدام، بل بالفهم."

رفرفت سلام فوق رؤوسهم، ثم حطّت على عارضة النول، وأطلقت صوتًا خافتًا كأنها تقول: "الأوان قد اقترب".

قالت غيداء وقد انكمش قلبها بين الفضول والخوف:

ـ "وهل هذا يعني أن أمامنا اختبارًا جديدًا؟"

أجابت أم المجد: ـ "نعم، لكنه ليس كأي اختبار... ستدخلون الذاكرة، لا لتشاهدوها فقط، بل لتعيدوا خياطتها. ما تمزّق في زمن علا... يجب أن يُرقّع اليوم."

تقدّمت غيداء من النول، ويداها ترتجفان. لم تكن تعرف إن كان ما تشعر به خوفًا أم انجذابًا غريبًا نحو ما هو مجهول... نحو ما هو أقدم من القصص، وأعمق من الأحلام.

قالت أم المجد بصوت يشبه ترنيمة:

ـ "ضعي يدكِ على الرمز... واغمضي عينيكِ... ولا تخافي إن اختلطت الأزمنة."

**

فعلت غيداء ما قيل لها، وفور أن لامست الرمز، بدأ الهواء من حولهم يثقل، كأن أنفاس الجدران احتُجزت. غمرهم ضوء مائل إلى البرونزي، وبدأت خيوط النول تتحرك وحدها، تُحيك دوامة أمامهم.

رفّت عينا غيداء، وسقط جسدها في لحظة خاطفة... سقط نحو الداخل، نحو الذاكرة.

**

حين فتحت عينيها، وجدت نفسها في ساحة فسيحة تُظلّلها أشجار التين والرمان، والهواء معطّر برائحة الزعتر والحنّاء. نساء يرتدين أزياء كنعانية يحيكن على نول خشبيّ ضخم، ويغنين:

"يا نول يا طالع فوق الربى
خيطك سرّ، وسرك نبا
طرّز حكايات اللي راحوا
وردّ الروح للي غِبا"

كان المكان حيًّا، كأنه مشهد من الماضي أُعيد بعناية. اقتربت إحداهن من غيداء وقالت بابتسامة دافئة:

ـ "أنتِ من جاءت من النسيج الغافي؟"

تراجعت غيداء خطوة وقالت بخفوت:
ـ "أين أنا؟"

ـ "في دار الرُقيّ... زمن علا، حين بدأت الحكاية تُقطع."

**

رأت غيداء شابة تقف وسط النساء، بشعرها المجدول وعيونها الصافية، تحمل إبرةً منقوشة على طرفها رمز العبور ذاته.

همست إحدى النساء:
ـ " هذه يانا، حارسة السرّ في زمن علا."

قالت غيداء لنفسها:
ـ "لكن رقية لم تذكر أنها كانت حارسة..."

وقبل أن تكتمل الفكرة، دوى صوت من بعيد، أشبه بقصف خافت، أعقبه اضطراب في ألوان النسيج حولها. ارتفعت أصوات النساء، وقالت إحداهن:

ـ "لقد جاءوا... الغرباء الذين يسعون لطمس الرموز!"

**

اقتربت يانا من غيداء وقالت:
ـ "إن كنتِ من أولئك الذين ما زالوا يذكرون، فخذي هذه الإبرة... لا تتركي خيطك ينقطِع، لأن الماضي لا يُشفى إلا إن خِيط من جديد."

ثم وضعتها في يد غيداء... وفي اللحظة التالية، تلاشى

كل شيء.

**

استفاقت غيداء وهي تلهث، على صوت كنعان يناديها:
ـ "غيداء! أنتِ بخير؟!"

فتحت عينيها... و وجدت نفسها ما زالت أمام النول، والإبرة في يدها... لكنّها ليست إبرة عادية.

قالت أم المجد وقد ابتسمت:
ـ "لقد بدأتِ بالخياطة يا ابنتي... والرحلة، ما زالت طويلة."

هزّت غيداء رأسها بصمت، وما زالت عيناها متعلّقتين بالإبرة. لم تكن تشبه أي إبرة رأتها من قبل؛ دقيقة، لامعة رغم قِدمها، وقد نُقِش عند طرفها الأيسر رمز كأنّه من تطريز جدّتها القديمة، مطرّز بالحكايات لا بالخيوط.

قال كنعان، وهو يراقبها بقلق:
ـ "غيداء... ماذا رأيتِ؟ هل ظهرت لك رؤيا؟"

أجابت بصوت خافت، وقد تلوّن وجهها بالدهشة:
ـ "رأيت امرأة... اسمها يانا... كانت تحوك الزمن."

تبادلت أمّ المجد النظرات مع رقيّة وسَلام، ثم قالت بهدوءٍ يخبّئ رهبة:
ـ "إن رأيتِ يانا، فقد قبلك النول... وأصبحتِ من نَسْج السلسلة."

سألت رقيّة، وهي تتأمّل الإبرة في يد غيداء:
ـ "لكن... ما سرّ هذه الإبرة؟ تبدو مختلفة عن سواها."

ابتسمت أمّ المجد ابتسامة غامضة وقالت:
ـ "ليست هذه الإبرة لأثواب العيد، بل لأثواب الزمن... بها تُخيّط الذاكرة، وتُرتَق الثقوب التي حاول النسيان أن يوسّعها."

سألت غيداء، وقد خفّت أنفاسها:
ـ "ومن أولئك الغرباء الذين رأيتهم في الرؤيا؟ كانوا كالظلال، والنساء من حولهم خائفات."

قالت أمّ المجد:
ـ "أولئك هم السّاترون... الذين يحاولون منذ زمن أن يطمسوا الرموز، ويكتموا الأغاني، ويُبدلوا الحكايات بحكايا بلا جذور. يسحبون الخيوط من النسيج حتى يبقى التراث كالثوب الممزّق."

قال كنعان، وقد بدا الحزم في نبرته:

ـ "إذن، نحن لا نحمي النسيج فحسب... بل نعيد ما فُقد منه."

نظرت غيداء إلى النول، ثم إلى الإبرة بين أصابعها وسألت:
ـ " هل يمكنني أن أبدأ الحياكة الآن؟"

ردّت أمّ المجد بصوت منخفض كأنّه آتٍ من باطن الأرض:
ـ "ليس بعد، يا غيداء... لا تكتمل الخيوط إلّا بسماع «صوت الجدّات». ذاك هو الرمز التالي. حين تستمعين لِهمسهن، تكتمل الذاكرة الثانية."

سألت رقيّة بشوق:
ـ "وأين نسمع هذا الصوت؟"

أجابت أمّ المجد:
ـ "في الجنوب... حيث يقع كهف الرُواة. هناك لا يُسمَع إلا من يُصغي بقلبه، وهناك ما زالت الجدّات يروين لمن لم يخنهم السمع ولا الذاكرة."

رفرفت سَلام بجناحيها، ووقفت على طرف النول، وقالت:
ـ "إلى الجنوب إذًا... حيث تنام الحكايات في الصخور، وتتنفّس في نسيم المساء."

نظرت غيداء إلى رفاقها وقالت بثبات:
ـ "فلنذهب... آن أوان الحكاية الثانية."

كهف الرُواة

كان الغروب قد صبغ الأفق بلونٍ كنعانيٍّ ناري، حين وصلت غيداء إلى مدخل الكهف. بدا فم الكهف كفم حكيمة عجوز، صامت لكنه ممتلئ بالحكايا. امتدّت جذور شجرة زيتون عتيقة فوق المدخل، كأنها تُبارك الداخلين، أو تحذرهم.

قالت أم المجد وهي تودّعهم:
ـ "في هذا الكهف، الأصوات ليست كما تظنون، والحكايات لا تُروى باللسان فقط. لا تنطقوا إلا حين يُؤذن لكم، فالرواة هناك... ليسوا بشراً فحسب."

دخلوا إلى الكهف ، وكان الداخل أشبه بنسيجٍ حجريّ، جدرانه مغطّاة برموز منقوشة بدقّة، بعضها يُشبه التطريز، وبعضها كُتب بلغة قديمة لم تعد تُتداول. الجو بارد، لكنّه دافئ بالمعنى.

وفجأة، ومن عمق الكهف، انطلقت نغمةٌ... أغنية، ليست بصوتٍ مألوف، بل بصوتٍ متعدد، كأن آلاف النساء

ينشدن سويًا بصوتٍ واحد:

> "طُفنا على روابي الدار، نغزل خيطنا ونهتف،
لا تذوي الأرض إن سمعَت، حكاية جدٍّ أو كتف."

توقّفت غيداء مكانها، وتجمّدت الدموع في عينيها. شعرت بشيء يتسرّب من الأرض إلى قدميها، يصعد إلى قلبها... كأنها تسمع صوت جدتها وهي تروي لها حكايات الطفولة، لكن هذه المرة، كانت الحكاية أكبر.

قال كنعان بصوت خافت:
ـ " هذه... ليست أغنية فقط... إنها استدعاء للذاكرة."

ردّت سلام:
ـ "صوت الأرض إذا حنّت."

وقفت غيداء وسط القاعة الصخرية، وقالت بهدوء:
ـ "أنا غيداء... من نسل الخيط الأول... جئت أبحث عن همس الجدّات."

ساد الصمت. ثم، ومن الظلّ، خرجت هيئة نورانية... لم تكن بشريّة تمامًا، بل خليطًا من امرأة، وضوء، وتطريز حيّ. قالت:

ـ " غيداء، بنت النسيجِ، أُذِن لك أن تسمعي."

ثم أُضيء الكهف من حولها، وبَدأ الحائط يروى —— لا بالفم، بل بالنقش.

ظهرت صورة امرأة تُمسك بقطعة قماش وتغنّي:

> " غزلي غزلي، ما تنسي،
كل رمش خيط، وكل حرف نسي،
تاري بنات الأرض ياما نسجن،
بس الحكاية بتحرّر الأمس."

ثم همس صوت من كل الجدران معًا:
ـ " هذا هو الرمز الثاني، يا غيداء: صوت الحكاية. ومن ينساه، يضيع."

وبينما كانت الكلمات تتردّد في أنحاء الكهف، شعرت غيداء أن الإبرة في يدها بدأت تسخن... وحين نظرت، وجدت عليها رمزًا جديدًا: خيطٌ ملتفّ حول قلبٍ صغير.

قالت سَلام:
ـ "الرمز اكتمل... لكنّ الطريق لم تنتهِ."

ابتسمت غيداء رغم الرهبة وقالت:
ـ "ولم تكن لتبدأ، لولا أصوات النساء."

وما ان انهت غيداء كلامها ، اهتزت الأرض بقوة، وسمعوا صوت هدير عميق يتصاعد من أعماق الكهف. انبثق ظل ضخم بين الصخور، تتلوى كتلته المتشابكة من غيوم سوداء، وعيناه تتوهجان بلون أخضر ناري كأنهما ينبوع غضب الأرض سمعوا صوت جهوري عميق، يحمل غضب الأرض):
"من تجرأ أن يدخل مقدسات الأرض؟ من يجرؤ على انتهاك نسيجها الغافي؟"

غيداء، تلهث وتتقدم بحذر: "ما هذا الصوت؟!

بدأ البرغ يزأر بقوة، وأطلق موجة من رياح سوداء تتلوى كالأفاعي، تحاول اختناق الكهف وأسر الجميع

سلام حلقت بسرعة محاوِلة إبعاد الظلال عن غيداء، وقالت بصوت حذر:إنه البرغ حامي الأرض، لكن غضبه عميق."

كنعان، مكمّمًا نفسه ليرتّب أفكاره: "البرغ... روح قديمة كانت تُقدّس وتحترم، لكن جرحه في نسيان الناس، جعله يتحول إلى هذا الكائن الثائر."

صاحت غيداء قائلة: "يجب ألا ندع غضبه يبتلعنا، علينا أن نكون أقوى من هذا الظلام."

ثم تتقدم بخطى ثابتة، مفتاح الذاكرة في يدها يضيء قليلاًوقالت:

"أنا هنا لحماية الأرض، لن نسمح لنسيانكم أن يمحو ذاكرة الأجداد."

صاح البرغ (غاضبًا، ترتفع عاصفة من الرياح السوداء حوله):
"كلماتكم تثير الغضب في أعماقي، سأعلمكم كيف يعاقب من يعتدي على قدسي."

كنعان (ممسكًا بسيفه متأهّبًا):
"لقد نسينا الأرض وتركتنا بلا جذور. لكننا هنا اليوم لنحميها، لا أن ندمرها."

سلام (تحوم حولهم، صوتها هادئ لكنه حازم):
"البرغ، الغضب لن يردّ الأرض إليّا، بل الفهم والاحترام فقط هما من يستعيدان النسيج."

البرغ (متعجبًا، ويخف صوته قليلاً):
" هل تظنون أن كلماتكم كافية لتهدئة روحي؟ سنوات من النسيان لم تُشبعني إلا بالحقد."

بدأ البرغ بإطلاق عاصفة من الظلال والرياح السوداء، تحاول التفاف الأبطال وسحبهم نحو أعماق الكهف.

غيداء (محاولة توجيه ضوء مفتاح الذاكرة):
" لا يمكننا الاستسلام! الذكريات التي نحملها أقوى من ظلامك."

كنعان (يدافع بسيفه، يصد الهجمات ويقف بين غيداء والظلال):
"لن نسمح للظلام أن يبتلع أرضنا."

سلام (تحوم بسرعة، تحاول تشتيت هجمات البرغ بالريش الذهبي):
" ابقوا ثابتين، قوتنا في وحدتنا."

البرغ (يرتفع صوته غاضبًا):
"سآخذكم معي إلى الأعماق حيث لا نور!"

تهب عاصفة أعنف، ويشعر الجميع بثقل الظلام يضغط عليهم.

كنعان يُطرح أرضًا بضربة قوية، يتنفس بصعوبة.

غيداء (تصرخ):
"كنعان!"

سلام تحاول حمايتهما، لكن البرغ يهاجم بقوة متزايدة.

فجأة، من بين الظلال يظهر شاب قوي البنية، يحمل رمحًا مزخرفًا بحجارة لامعة، يتقدم بسرعة نحو البرغ (بصوت حازم وواثق):
"كفى! لا مكان للظلام هنا."

يندفع الشاب نحو البرغ، يشتبك معه في معركة شرسة، ويشغل البرغ بضربات متسلسلة من رمحه

البرغ (يتراجع قليلًا، زئيره يهز الصخور):
"من أنت لتتحدى ظلي؟ لا أحد يتجرأ على الوقوف أمامي ويظل حيًّا!"

الشاب (بثبات):
"أنا من حمل وصية حامية النسيج، من نشأ على قصص الأرض، ولم يسمح أن تُنسى. لن أدعك تدمر ما تبقّى من ذاكرة النور."

يشتبك الاثنان في معركة ضارية، والكهف يهتز مع كل

ضربة ، يناور ببراعة، ورمحه يلمع بضوء غريب كأنه يستجيب للكهف.

غيداء (تراقب وتحاول الاقتراب):
"يجب أن نساعده... لا يستطيع وحده."

كنعان، ينهض بصعوبة، ممسكًا سيفه من جديد:
"لن نقف متفرجين. غيداء، أنت الرمز... أنا سأشتت انتباهه."

يندفع كنعان نحو المعركة، يهاجم من الجانب، مما يسمح للشاب بأخذ لحظة لالتقاط أنفاسه.

سلام (تحوم فوق رؤوسهم، تنتثر الريش حولهم كدرع نور):
" غيداء، الرمز! لقد آن أوانه!"

غيداء (تخرج الإبرة وتتأمل الرمز الثاني المطرز عليها – رمز الذكرى الخالدة – يضيء بلون ذهبي عميق):
"يا نسيج الأرض... يا ذاكرة الأجداد... يا من سُجنت في صمت النسيان... آن لك أن تتذكّر."

تغرس غيداء الإبرة في راحة يدها برفق، فتتوهّج النقوش، ويمتد الضوء منها على هيئة خيوط ذهبية تنتشر في الكهف، ترتفع كأنها تطريز في الهواء.

البرغ (ينتبه فجأة، يتوقف عن القتال، يلتفت نحو غيداء):
"ما هذا...؟ هذا النور... أعرفه..."

غيداء، بصوتٍ هادئ لكنه قوي، تمشي نحو البرغ وسط العاصفة التي بدأت تهدأ تدريجيًا:
"إنها ذكراك، يا روح الأرض... ليست اللعنة من نسيك، بل الجراح التي لم تندمل. عد إلينا، لا كظل، بل كروح تحفظ."

يقف الشاب جانبًا، يتنفس بعمق، يراقب غيداء بإعجاب واحترام.

البرغ (يرتج جسده، الظلال تتكسر عنه كقشور متحجرة):
"كنتم صادقين... وها هي الذكرى تحييني..."

ينفجر ضوء ذهبي ضخم من جسد البرغ، يملأ الكهف دفئًا، وتتحول الرياح السوداء إلى خيوط ضوء تتلاشى في الهواء، ويعود الهدوء إلى الكهف.

غيداء، تنهار على ركبتيها، مرهقة، وسلام تحط على كتفها برفق.

(يتقدم الشاب نحوها، يمد يده يساعدها على الوقوف):
"ما فعلته... أعاد الحياة لما كان يُظن أنه ميتًا."

كنعان، يبتسم رغم الجراح:
"ذكراكِ... كانت أقوى من ظلمه."

جدران الكهف، نظر الرفاق الثلاثة إلى الشاب الذي وقف بثبات وسط الضوء الذهبي الذي خلّفه اختفاء البرغ. كان جسده مغطّى بغبار المعركة، رمحه لا يزال يقطر من طاقة المواجهة، وعيناه تتأمل غيداء بإعجاب صامت.

غيداء (وهي تلتقط أنفاسها):
"أنت... من تكون؟"

ابتسم الشاب بخفة، ثم قال بصوت هادئ فيه نبرة الجبال:
"اسمي شهاب، ابن الكرمل... تربّيت على حدود الأرض المنسية، في قرية لا تُذكر على الخرائط، لكن قصتها محفورة في الصخور."

كنعان (متأملًا إياه):
"لم نرَ أحدًا مثلك من قبل... كيف عرفت أن تأتينا في الوقت المناسب؟"

شهاب (ينظر إلى جدران الكهف حيث لا تزال النقوش

تضيء):
"الرموز تناديني منذ أيام... البرغ لم يكن الوحيد الذي شعر بقلق الأرض. أنا أحد حرّاس البقايا... نرصد علامات الظلال وننتظر اللحظة التي نُستدعى فيها."

سلام (تُحلّق حوله قليلاً، ثم تهبط قربه):
"حرّاس البقايا؟ أهذه أسطورة أخرى من أساطير الأرض؟"

شهاب (ينظر إلى سلام بابتسامة):
"بل حقيقة. نحن أبناء الأجداد الذين لم يتركوا الأرض يومًا. كل واحد منا تلقّى جزءًا من النسيج قبل أن يتبعثر، وأنا... كنت أبحث عن غيداء."

غيداء (مذهولة):
"تبحث عني؟ ولماذا؟"

شهاب:
"لأنكِ الحارسة. والرؤية القديمة أخبرت أن حارسة النسيج ستستيقظ، وتعيد تنشيط الذكرى الخالدة... وأنا وُلدتُ لأحمي تلك اللحظة."

كنعان (يغمغم):
"وكأن كل خيط في هذه القصة كان يُحاك دون علمنا..."

شهاب (ينظر إليهم بجدية):
"ما فعلتموه اليوم ليس نهاية، بل بداية. والبرغ لم يكن سوى أول من استيقظ من سباته الطويل. هناك قوى أخرى أُفسدت، وعلينا أن نعيدها إلى أصلها."

غيداء (بصوتٍ يحمل عزيمة):
"سنكمل الطريق... ما دام النسيج ينبض، سنحرسه."

شهاب (ينحني احترامًا):
"إذن، أنا معكم."

أمسكت غيداء بالرمز الثاني... "الذكرى الخالدة"، قطعة حجرية صغيرة منقوشة برموزٍ كنعانية، تتوهّج بدفء، وتبث في راحة يدها نبضًا هادئًا كنبض قلب الوطن.

كنعان، ما زالت آثار المعركة على كتفه، سار بجانبها صامتًا، لكن في عينيه امتنان لم تستطع الكلمات أن تنطقه.

سلام كانت تحلّق أمامهم، ريشها الذهبي يلمع بلطف، كأنها ترشدهم في طريق العودة.

أما شهاب، فكان يسير بخطى ثابتة خلفهم، رمحه على

ظهره، وعيناه ترصدان ما حوله... لكنه بين الحين والآخر، كان يختلس النظر إلى غيداء، وكأنّ شيئًا فيه يبحث عن إجابة.

**

(عند بوابة المغارة، حيث كانت رُقيّة تنتظر، جالسة قرب ضوء مصباح زيت صغير، تنظر إلى فتحة السماء)

رُقيّة (بابتسامة هادئة، تنهض فور رؤيتهم):
"رأيت الغضب في قلب الأرض، وسمعت أنين النسيج وهو يستيقظ... هل أنتم بخير؟"

غيداء (تتقدّم نحوها، تفتح راحة يدها وتُريها الرمز):
"وجدنا الذكرى الخالدة... لكن بثمنٍ من العرق والخوف... والدم."

رُقيّة (تأخذ الرمز بلطف، تلمسه كأنها تلمس وجه أمٍّ منسية):
"جميل... أن تستفيق الأرض على يد من تذكّرها."

(تلتفت إلى شهاب)

رُقيّة (بنبرة متأملة):
"ومن هذا الذي خرج من بين رماد الصمت؟"

شهاب (ينحني احترامًا):
"اسمي شهاب... أنا من نسل حُماة الرموز. وها قد حان دوري لأُعيد ما سُرق من الأرض."

رُقيّة (بصوت منخفض، تنظر إلى رمحه المزخرف):
"رمز النور المنسي... لم أره منذ أجيال."

**

كنعان (ينظر إلى شهاب):
"أنقذت حياتنا، وهذا دين لا يُنسى."

غيداء (بهدوء، لكن بحزم):
"وربما... سنحتاج إلى شجاعتك أكثر مما نظن."

رُقيّة (تتراجع بخطوتين، تنظر إلى الكهف خلفهم):
"اثنان من الرموز قد عادا... وبقي أمامكم طريق أطول."

سلام (تلتف في الهواء وتستقر على كتف غيداء):
"لكننا لسنا وحدنا."

توقف الأبطال الأربعة جنبًا إلى جنب، خلفهم الكهف الذي شهد المعركة، وأمامهم رُقيّة تحمل الرمزين في يدها،

ونور الفجر يلوحِ من بعيد...

همس بين الرماد – رُقيّة وشهاب

(المكان: قرب موقد خافت في عمق الكهف، الليل ساكن إلا من خشخشة النار)

رُقيّة تجلس وحدها، تحدّق في الرمزين الموضوعين أمامها. خطوات خفيفة تقترب... يظهر شهاب في صمت، عيناه تطوفان على الحجرين، وعلى ملامح العجوز.

رُقيّة (من دون أن تلتفت):
"كنت أعلم أنك ستأتي."

شهاب (يقف بثبات):
"وأنا كنت أعلم أنك تنتظرين شيئًا... أكثر من مجرد انتصار."

رُقيّة (تبتسم، وتلتقط الذكرى الخالدة):
" هذا الرمز... لا يعمل إلا بيدٍ تحمل ذاكرة لا تنكسر. غيداء فعلت ما عجز عنه من قبلها كُثر."

شهاب (يجلس مقابلها، يراقب النيران):
"لكنني رأيت النور يتسلل منها. وكأن الرمز قد عرفها قبل أن تمسه."

رُقيّة (بصوت متهدج):
"أنت أيضًا... النور لم يختارك عبثًا، يا ابن عين الرمّان."

(يصمت شهاب، نظراته تشي بالدهشة)

رُقيّة (تكمل وهي تنظر إليه مباشرة):
"نعم، أعرف قريتك. وأعرف الحلم الذي رأيته ليلة ولادتك... رمحك يحمل أثرًا من زمن آخر."

شهاب (بصوت منخفض):
"أكنتِ تراقبينني؟"

رُقيّة:
"بل كنتُ أحميك... من الحقيقة."

(لحظة صمت ثقيلة تمر بينهما، قبل أن تميل رُقيّة للأمام وتهمس)

رُقيّة:
"حين تستيقظ الرموز كلّها... سيكون على النور أن

يختار بين التذكّر... أو النسيان الأبدي."

شهاب:
"وماذا إن اختار التذكّر؟"

رُقيّة (وهي تنهض):
"حينها، سيحترق كل ما هو زائف... ويولد ما نسيه الزمن."

(ثم تلتفت نحوه)

رُقيّة:
"نم الآن يا شهاب... فالليل القادم لن يكون لليقظة وحدها."

مع طلوع فجر اليوم الثالث، كانت الشمس تلقي خيوطها الذهبية على الكوخ، حيث اجتمع غيداء وكنعان وسلام مع رقية يتبادلون أطراف الحديث بهدوء.

فجأة، سُمع صوت خطوات خفيفة تقترب، وظهرت شابة تحمل سلة صغيرة من الأعشاب الطازجة، وعيناها تحكي قصة عمرها بين الجبال والوديان.

ابتسمت رقية فور رؤيتها، ونادت بصوت مليء بالمفاجأة والود:

"ربي، لم أتوقع قدومك اليوم!"

التفت الجميع نحو المصدر، فوجدوا ربى واقفة بهدوء، تبتسم لهم. كانت مختلفة عن رقية في الملامح، أصغر سنًا، بنظرة حادة لكنها ودودة.

غيداء باندهاش:
"من هي؟"

كنعان يراقب بحذر، بينما سلام توقفت عن الطيران، تحدق في ربى بتأمل.

ربي بابتسامة هادئة:
"أنا ربى، صديقة رقية منذ زمن بعيد، وجئت اليوم لأقف إلى جانبكم."

لكن شهاب، الذي وقف إلى جانب رقية، لم يتحرك، عينيه تلمعان برغبة في قول شيء لكنه صمت، وهو يعلم جيدًا من هذه الشابة.

راقبت رقية ربى بحنان، وقالت:
"وجودها هنا هدية في هذا الوقت العصيب."

غيداء، رغم فضولها، لم تستطع أن تخفي شكوكًا خفيفة، بينما كنعان بقي متحفظًا.

تقدمت ربى بخطوات واثقة داخل الكوخ، وجلست بالقرب من النار التي ما زالت مشتعلة، وسحبت من سلتها بعض الأعشاب الطازجة.

قالت ربى بابتسامة:
"لقد جلبت معي بعض الأعشاب النادرة التي قد تفيدنا في رحلتنا، لكنها تحتاج إلى معرفة دقيقة بكيفية استخدامها."

نظرت غيداء إليها بتمعن، وقالت:
"يبدو أنك تعرفين الكثير، وربما تكونين عونًا لنا."

لكن كنعان لم يستطع أن يخفي تحفظه، فرفع حاجبه وقال بحذر:
"ومن أين أتيت يا ربى؟ وكيف عرفتِ مكاننا؟"

ردّت ربى بهدوء، مائلة رأسها قليلًا:
"أنا من تلك القرى المجاورة، وأعرف رقية منذ الصغر. وصلت إليها بعد أن شعرت بأن الأرض تستدعينا."

في هذه اللحظة، ألقى شهاب نظرة سريعة نحو ربى، وكأنها تحمل سرًا دفينًا، لكنه لم يكشف عن شيء.

تساءلت غيداء:

" هل يمكننا الوثوق بك؟ فنحن في زمن لا يحتمل الخيانة."

ابتسمت ربى بابتسامة غامضة، وقالت:
"دعوا الأيام تتكلم، وأنا هنا لأساعد، فقط امنحوني فرصة."

صمت الجميع للحظة، ثم دعت رقية الجميع إلى الهدوء وقالت:
"في هذه اللحظة، الوحدة هي قوتنا، وكل يد ممدودة تحمل الأمل."

وساد الصمت، مرّت دقائق ثقيلة في الصمت، ثم همس شهاب لرقية بهدوء، لكن بغموض:
"ربى ليست كما تبدو، عليك أن تنتبهي."

رفعت رقية رأسها بنظرة حذرة، لكنها لم تسأل مباشرة، كأنها تثق بشهاب لكنها تترقب.

غيداء، التي لاحظت التوتر بين الاثنين، قالت ببراءة:
"أنا أريد أن أؤمن بها، الأرض تحتاج إلى الجميع الآن."

كنعان، الذي لا يزال يشعر بقلق، خاطب ربى بحدة:
"أخبرينا، ما الذي تخبئينه عنا؟"

ابتسمت ربى ابتسامة نصفها دفء ونصفها سرّ، وقالت:
"الحقيقة مثل النسيج، أحيانًا تحتاجون إلى رؤية الخيوط الخفية لتفهموا القصة كاملة."

وفجأة، دوت ضربة قوية على باب الكوخ، فتجمد الجميع في مكانهم.

فتح شهاب الباب بحذر، ليجد في الخارج رجلًا مسنًا يرتدي عباءة رمادية، وجهه مُغطى ببعض الوشوم القديمة.

قال الرجل بصوت هادئ:
"جئت لأبلغكم بأن الوقت يوشك أن ينفد، والظلال تتجمع في الجنوب."

ردت رقية بهدوء:
"نعلم، لكن معًا سنتخطى كل شيء."

تنهد شهاب وقال بصوت خافت:
"العدو ليس فقط في الخارج، بل في القلوب أيضًا."

نظرت رقية إلى غيداء وكنعان وشهاب وربى، وقالت بصوت حنون لكنه حازم:
"الوقت قد حان للمضي قدمًا، أنتم الآن أكثر استعدادًا مما كنتم عليه. الأرض التي تحرسونها في حاجة إليكم،

والرمز الثالث ينتظركم لاكتشافه."

ابتسمت غيداء بعزم، ورفعت مفتاح الذاكرة في يدها كما لو أنه مصدر قوتها:
"سوف نحمي التراث، وسنواجه ما قد يأتي، مهما كلفنا الأمر."

قال كنعان وهو يشد قبضته على سيفه:
"لن ندع الظلال تبتلع نور الأرض من جديد."

وقفت ربى، ناظرة إلى غيداء بحنان، وقالت:
"أنتِ لم تكوني وحدك أبدًا، نحن معكِ في كل خطوة."

تقدم شهاب وقال بنبرة جدية:
"سأكون الدرع الذي يحميكم من كل خطر."

أبتسمت رقية وناظرتهم بعينيها الهادئتين، ثم بسطت يديها عليهم:
"اذهبوا بسلام، واحملوا في قلوبكم قوة النسيج، ولا تنسوا أن كل خطوة تخطونها هي رسالة للحفاظ على ذاكرة الأرض."

في اللحظة التي ودعوا فيها رقية، شعرت غيداء بتيار هادئ يمرّ عبرها، كأن الأرض تمنحهم بركتها.

تحركوا بخطوات ثابتة نحو المجهول، حيث ينتظرهم الرمز الثالث
انطلقت المجموعة خارج الكوخ، والهواء يحمل عبق الأرض والجبال القديمة.
كانت السماء تكسوها ألوان الغروب المتداخلة بين الأحمر والبرتقالي، وكأنها تودعهم وتبارك رحلتهم.

غيداء وقفت للحظة، نظرت إلى السماء ثم إلى الأرض تحت أقدامها، وقالت:
" هذه الأرض ليست مجرد تراب... هي حكايات، هي أرواح أجدادنا التي تسير معنا."

كنعان أدار رأسه نحوها بابتسامة خافتة:
"ومع كل خطوة، نعيد كتابة التاريخ، بحبر الإيمان والصمود."

سلام رفرفت بجانب غيداء، تحوم برقة فوق الكل، ثم أضافت بصوتٍ خافت:
"أنا هنا، سأحميكم من السماء، لا تخافوا."

شهاب كان يقودهم بخطوات ثابتة، عيناه تراقبان الأفق وكأنهما تبحثان عن تهديدات محتملة. لكنه كان يسرّب نظرات متقطعة نحو ربى، التي تمشي خلف المجموعة بثقة واضحة، عيناها تحملان بريقًا غامضًا وكأنها تخطط لشيء.

ربى ابتسمت بابتسامة خفية، وألقت نظرة سريعة على شهاب وكأنها تعرف أن هناك من يراقبها، لكنها لم تبدِ أي خوف أو تراجع.

كانت تتحدث مع نفسها بهدوء، كلماتها غير مسموعة، لكن حركات شفتيها كانت تردد عبارات غامضة تحمل نوايا خبيثة.

شهاب قبض كفه تحت عباءته، متمتماً لنفسه:
"يجب أن نبقى حذرين... ربى ليست كما تبدو."

وهكذا، واصلوا مسيرتهم في دربهم، يحملون في قلوبهم شعلة الأمل، ومفتاح الذاكرة، وذكرى خالدة تلمع كنجمة في السماء الداكنة، بينما ظل الغموض يلف شخصية ربى التي تخبئ أسرارًا قد تغيّر مجرى الرحلة.

بعد طول السير والجهد، قرر الجميع أن يستريحوا قليلاً على حافة وادٍ صغير، جلسوا يتنفسون الصعداء، أخرجت غيداء الرمز من حقيبتها لتتأمل فيه بتمعن ثم اعادته لمكانه وضعت غيداء حقيبتها بجانبها، ثم أغمضت عينيها لتلتقط أنفاسها

[بعد قليل...]

غيداء فتحت عينيها فجأة، شعرت بشيء غريب في قلبها، كما لو أن الرمز يناديها.

فتحت الحقيبة بسرعة، بحثت داخِلها بقلق، ثم ارتفع صوتها مذعورًا:
"الرمز... الرمز ليس هنا!"

انتبه الجميع، وقف شهاب وقال فوراً:
"متى كانت آخر مرة رأيتِه؟"

ردّت وهي تفتّش كالمجنونة:
"قبل أن أغمض عيني بدقائق، كان هنا!"

قال كنعان: "لا تقلقي، سنبحث عنه. لا يمكن أن يكون قد اختفى وحده."

وفجأة، تقدمت ربى بهدوء، وعيناها تلمعان:
"لا داعي للبحث... لقد رأيت كنعان يأخذ الرمز قبل قليل."

تجمدت ملامح غيداء، ونظرت إلى كنعان بدهشة:
"أأنت...؟"

قال كنعان بصوت مرتفع وقد بدا عليه الارتباك:
"ماذا؟ أنا؟ لم آخذ شيئاً، أقسم بذلك!"

قالت ربى بنبرة باردة:
"فتشوا أغراضه إن لم تصدقوا."

سكت الجميع للحظة، ثم قالت غيداء بحدة:
"كنعان... اسمح لنا أن نرى حقيبتك."

أومأ كنعان برأسه، وهو مذهول، وفتح الحقيبة بنفسه.
بدأوا يقلبون الأغراض، وفجأة، صاحت ربى:
" ها هو! إنه هنا!"

سحب شهاب الرمز من بين القماش داخل الحقيبة، رفعه أمامهم ببطء.

نظرت غيداء إلى الرمز ثم إلى كنعان، صوتها حاد مرتجف:
"كيف وصل هذا إلى حقيبتك؟"

قال كنعان وهو ينظر إلى الرمز وكأنما يراه لأول مرة:
"لا أعلم... لم أضعه هناك، ولم ألمسه حتى."

تقدمت غيداء خطوة، وعيناها تمتلئان بالحيرة والخذلان:
"كنت أظنك منّا... من أهل النسيج... لكنك خدعتني."

صرخ كنعان وهو يحاول السيطرة على ارتباكه:

" غيداء! صدقيني، لست أنا من أخذه، أنا حتى لا أعلم كيف دَخَل بين أغراضي!"

قالت ربى من الخلف بسخرية ناعمة:
" أيمكن أن يسير الرمز وحده يا كنعان؟"

صمت الجميع، وخيم التوتر، فقالت غيداء أخيرًا بصوت مكسور:
"كفى. لا يمكنني الوثوق بك بعد الآن... غادر، . أذهب بعيدًا عنا."

بقي كنعان واقفًا مكانه للحظات، ينظر إلى عينيها كأنه يطلب غفرانًا لن يقبله قلبها. ثم استدار ومضى دون كلمة، تلاحقه نظرات الشك والخذلان.

في الطريق إلى "وادي الخيطان"]

كانت الشمس تميل نحو المغيب، والسماء تمتزج بين الأزرق والعنبر، حين واصلت غيداء، وشهاب، وربى المسير بصمتٍ ثقيل. كل خطوة كانت تُدوّي في صدر غيداء بندمٍ لا تعرف سببه... ووجعٍ لا تسميه.

ربى تسير خلفهم، متظاهرة بالهدوء، وعيناها تراقبان الأرض كأنها تبحث عن أثرٍ لا يراه سواها.

أما شهاب... فكان يختلس النظر إليها من حينٍ لآخر، يتأمل خطواتها، وملامحها التي تبدو باردة أكثر من اللازم.

همس في نفسه:
شيءٌ ما ليس على ما يرام... كنعان ليس من هذا الطبع، وابتسامة ربى لا تشبه البراءة.

تقدم قليلاً وسار بمحاذاة غيداء، ثم قال بصوت منخفض:
"غيداء... أأنتِ واثقةٌ ممّا جرى؟"

رفعت رأسها إليه، وفي عينيها تعب ممزوج بالحزن:
"لم أكن أريد أن يحدث ما حدث، لكن... الرمز وُجد في حقيبته. كيف أبرّر ذلك؟"

تردد شهاب، ثم قال:
"أحياناً... تظهر الأشياء في أماكن لا تنتمي لها."

نظرت إليه باستغراب:
"ماذا تعني؟"

أشار بعينيه نحو الخلف، حيث تسير ربى في هدوء:
"قلبِي... لا يرتاح لها. لا أملك دليلاً، لكنني شعرت منذ البداية أنها تُخفي شيئاً."

تسارعت أنفاس غيداء، تذكرت لحظة نظرات ربى عندما طلبت تفتيش الحقيبة، تذكرت طريقة نُطقها لكلمة "كنعان"، وكأنها كانت تنتظر تلك اللحظة.

قالت بصوت منخفض:
"أتظن أنها... من وضعت الرمز هناك؟"

قال شهاب بثبات:
"لا أجزم، لكن شيئاً داخلي يصرخ بذلك. وكأنها أرادت إبعاد كنعان... لغايةٍ ما."

ساد صمتٌ قصير، ثم تابعا السير، وكل خطوة من غيداء أصبحت أكثر ثِقلاً من سابقتها.

أما ربى، فكانت تستشعر الهمسات... لكنها لم تلتفت.

الوصول إلى وادي الخيطان]

بدأت الشمس تذوب خلف الجبال، والسماء تلبست بلون أرجواني كثيف حين ظهرت أمامهم فجأة بوابة طبيعية من الصخور المتشابكة، وكأنها أنياب حجرية تحرس مدخل الوادي.

توقفت غيداء مأخوذة بالمشهد وقالت بصوت منخفض:

" هذا هو وادي الخيطان... لم أظنّ أن يكون بهذا العمق."

اقترب شهاب منها وهو يتفحص المكان بعينيه الحادتين:
"يقال إن هذا الوادي كان ملجأ الكنعانيين في الحروب، وإن فيه رموزًا لم يستطع احد فكها منذ قرون."

ربى ابتسمت ابتسامة باهتة وقالت:
"الوادي يبدو ميتًا... هل نحن على يقين أن الرمز الثالث سيقودنا إلى هنا؟"

شهاب نظر إليها بحدّة خفيفة:
"الوادي لا يموت... الأرض لا تموت. ربما يخفي أسرارًا لا يراها إلا من يبحث بصدق."

غيداء، التي شعرت بتيار بارد يمرّ عبر جسدها، قالت:
" علينا أن نتحرك بحذر، فالوادي يحمل إرثًا عميقًا من الماضي. أشعر بأن العيون تراقبنا بين هذه الصخور."

بدأوا السير في ممر ضيق، الجدران الحجرية تعكس صدى خطواتهم وكأن الوادي نفسه يبتلع أصواتهم. كلما تقدموا، ازدادت رموز كنعانية منقوشة على الجدران بريقًا خافتًا يشبه الخيوط المضيئة.

ربى توقفت فجأة أمام نقش كبير ووضعت يدها عليه:

"هذه الرموز... تشبه التي على مفتاح الذاكرة."

غيداء اقتربت منها بحذر:
"صحيح... لكن هذه الرموز لم أرها من قبل. قد تكون الطريق إلى الرمز الثالث."

شهاب، الذي كان يراقب كل حركة لربى بعناية، قال بحزم:
"لا تلمسي شيئًا الآن، حتى نفهم ما الذي أمامنا. هذا الوادي ليس مكانًا عاديًا."

ربى ابتسمت وكأنها تتحدّاه:
"أحيانًا عليك المخاطرة... من يدري؟ قد يقودنا ذلك إلى ما نبحث عنه."

غيداء نظرت إلى شهاب بخوف:
"أشعر أننا على حافة شيء خطير."

شهاب قال بهدوء لكن بثقة:
"سنكتشف قريبًا... لكن تذكري يا غيداء، ليس كل من معنا يريدنا أن نصل إلى النهاية."

كلمات شهاب بقيت تتردد في عقل غيداء وهي تنظر إلى ربى التي كانت تبتسم بخبثٍ
، وكأنها تعرف الطريق جيدًا أكثر مما يدّعي الجميع

تقدموا خطوات قليلة داخل وادي الخيطان، لكن التوتر بدأ يملأ الجو. ربى كانت تسير بخطى واثقة .

سلام توقفت فجأة ونظرت إلى شهاب بقلق:
"شهاب، أشعر أن ربى تخفي شيئًا عنا... لم أتوقف عن مراقبتها منذ زمن، وأرى في تصرفاتها ما يثير الريبة."

شهاب، بابتسامة متوترة، ردّ:
"لست وحدك يا سلام. قلبي ينذرني بالخطر، لكن لا أستطيع أن أثبت شيئًا الآن."

غيداء، مترددة، قالت بصوت هادئ:
"لكن ربى لم تفعل شيئًا يُخالفنا حتى الآن... هل نترك الشكوك تفرقنا ونحن نحتاج لبعضنا البعض أكثر من أي وقت؟"

ابتسمت ربى ابتسامة باردة، ثم اقتربت وقالت:
" هل تعتقدون أن الشك والاتهام يُساعدانكم؟ أنتم هنا لتجدوا الحقيقة، وليس لتقاتلوا بعضكم البعض."

لكن شهاب، بحدة، ردّ:
" أنا لا أتهم أحداً بلا دليل، لكنني لن أغفل عن أي علامة خطر."

سلام أضافت بنبرة متوترة:
"غيداء، عليك أن تفتح عينيك أكثر... فربى قد لا تكون من تساعدنا كما تعتقدين."

تجمّعت الكلمات كالسحب الثقيلة في سماء الوديان، والتوتر بدأ يتحول إلى خلاف صريح.

غيداء، مستاءة، ردّت:
"أنا لست طفلة لتتحدثوا إليّ بهذه الطريقة. أنتم تزرعون الشك في قلبي، وهذا أسوأ من أي عدو خارجي."

شهاب قال بصرامة:
"نحن نحميك، غيداء. لكن الحماية تبدأ بالصدق، لا بالخديعة."

سلام تنهدت وقالت:
"إذا كنا لا نستطيع أن نثق ببعضنا، فكيف ننتصر؟"

انفجرت ربى باكية، ثم اختفت بين الأشجار، تاركة وراءها الجميع .

نظر الثلاثة لبعضهم في صمت، والشعور بالانقسام بدأ يتسلل بينهم... وكأن ربى زرعت بذور الفتنة بالفعل ، بعد رحيل ربى، بقيت غيداء واقفة وسط الوادي، تشعر بثقل الكلمات والشكوك بين الأصدقاء. حاولت أن تجمع

شمل نفسها، لكن صوت خطوات قريبة ناداها.

شهاب، بصوت حزين:
"غيداء، أنا وسلام قررنا أن نتحقق من الأمر بعيداً قليلاً.
هذه الفتنة قد تهدد مهمتنا كلها."

سلام أضافت بحزم:
"لكن لا تقلقي، لن نتركك وحيدة. فقط نحتاج بعض
الوقت لنفهم ما نواجهه."

غيداء، بعيون دامعة:
"لكن كيف تتركوني؟ ماذا لو حصل لي مكروه؟"

شهاب ابتسم بحنان لكنه مصمم:
"لن نتركك وحيدة، لكننا بحاجة للحذر أكثر. تعالي معنا،
أو ابقي هنا، الخيار لك."

غيداء توقفت للحظة ثم قالت بثبات:
"أنا سأبقى، لأثبت لكم أنني قوية."

ابتسمت سلام وقالت:
"إذًا نحن على موعد، وسنلتقي قريبًا."

ابتعد شهاب وسلام وسط الأشجار، وبدأت غيداء تتنفس
بعمق، مستعدة لكل ما سيأتي.

لكن خلف الأشجار، هناك من يراقبهم بعينين باردة،حيث يقف رجل غامض، شاحو، وهو ينتظر بفارغ الصبر.

ربى (تقترب من غيداء، صوتها مفعم بالحنان):
"أعرف أنّ قلبكِ مثقل بفراق شهاب وسلام... لكن صدقيني، هذا ليس وقت الندم. أحيانًا علينا أن نخسر من نحب حتى نكمل الطريق. هما سيجدان دربهما... أما نحن، فلدينا واجب أكبر."

غيداء (عيناها ممتلئتان بالدموع):
"لا أستطيع... لا أستطيع التوقف عن التفكير بهما. لقد شعرت بأنني خذلتهما، وكأننا افترقنا إلى الأبد."

ربى (تمسح دمعة على خد غيداء):
"غيداء... شهاب قوي، وسلام تعرف كيف تحمي نفسها. هما بخير الآن. لكن لو توقفتِ هنا، سنخسر كل شيء. ألا تريدين أن تريهما مجددًا عندما ينتهي كل هذا؟ علينا المضي قُدمًا لأجلهم."

غيداء (تتنفس بعمق، تحاول السيطرة على مشاعرها):
"ربما... ربما أنتِ على حق. لكن هذا الطريق الذي نختاره يجب أن يكون صائبًا."

ربى (تضع يدها على كتفها وتبتسم بثقة):

"ثقي بي، الطريق الذي سأقودكِ إليه سيكشف لكِ كل الأسرار... بل سيعيد لنا القوة التي فقدناها.

غيداء (بصوت منخفض، وكأنها تُقنع نفسها):
"حسنًا... سأمشي معكِ. لكن إن شعرتُ بخطر... لن أتردد في العودة."

ربى (بابتسامة):
"لن تندمي يا غيداء... هذه البداية فقط."

كان الطريق الذي سلكته ربى ضيقًا ومتعرّجًا، تحفّه أشجار ملتوية جذورها كأنها أيادٍ تحاول الإمساك بهم. الهواء صار أثقل، والسماء ملبّدة بغيوم سوداء رغم أن النهار لم ينتهِ بعد.

غيداء (تنظر حولها بقلق):
"لماذا هذا المكان يبدو كأنه خارج الزمن؟ الطريق... كأنّه لم يُسلك منذ قرون."

ربى (بهدوء):
" هذا لأنه طريق خاص... لا يعرفه إلا القلائل. قولي لنفسك إننا نقترب من الإجابة."

تابعتا السير حتى وصلا إلى بوابة حجرية ضخمة محفورة عليها رموز فينيقية قديمة، تومض بخطوط

حمراء كلما اقتربتا منها. ربى وضعت يدها على الحجر فانفتح ببطء، ليكشف عن ممر طويل يقود إلى قاعة مظلمة عميقة تحت الأرض.

غيداء (تتردد في الدخول):
"ربى... هل أنتِ متأكدة من هذا؟ أشعر أن هناك من يراقبنا."

ربى (تضغط على يد غيداء وتبتسم):
"ثقي بي. نحن الآن في أمان."

لكن حين دخلتا القاعة، أضاءت فجأة مئات المشاعل المثبتة على الجدران، وكُشف عن عرش حجري ضخم في نهاية القاعة يجلس عليه شاحو. كان طويل القامة، جسده مغطى بوشوم نارية قديمة، وعيناه تلمعان كالجمرة. حوله عشرات الحراس، كائنات حجرية ضخمة تتحرك ببطء، يحمل كل منها رمحًا حجريًا مسنن الأطراف.

شاحو (بصوت جهوري كالرعد):
"أخيرًا... جئتِ يا حارسة النسيج. لقد طال انتظاري."

غيداء (تتراجع بخوف):
"من أنت؟! ولماذا تعرف من أكون؟"

شاحو (ينهض من عرشه، يقترب ببطء):
"أنا من كان هنا قبل أن يولد أجدادك. أنا سيد الأرض التي تدوسينها. جئتِ تحملين ما أحتاجه لأعيد حقي المسلوب."

تنظر غيداء إلى ربى في ذهول، فتدرك الحقيقة من ابتسامتها الخبيثة.

غيداء (بغضب وصدمة):
"ربى... أنتِ خدعتِني!"

ربى (ترفع رأسها بفخر):
"لم أخدعكِ، يا غيداء... لقد قادتكِ خطاكِ إلى هنا. شاحو هو الوحيد الذي يمكنه أن يستعيد السيطرة على النسيج الغافي، وإن كان الثمن... أنتِ!"

اندفع الحراس نحو غيداء ليحاصروها، حاولت استخدام مفتاح الذاكرة لكن شاحو مدّ يده، فتوقفت قوة المفتاح فجأة وكأنها انطفأت.

شاحو (بصوت منخفض يملؤه التهديد):
"أعطيني الرموز كلها... أو سأمزّق هذا النسيج وأدفنه في ظلام أبدي."

وقفت غيداء في منتصف القاعة، محاطة بالحراس

الحجريين، قلبها يخفق بقوة. قبضت على مفتاح الذاكرة بكلتا يديها، تحاول استدعاء قوته، لكن ظلام المكان وثقل وجود شاحو كانا يخنقان أي ضوء ينبعث منه.

غيداء (بصوت متحدٍ):
"لن أسلمك الرموز... هذا النسيج ليس لك، ولن يكون!"

ضحك شاحو ضحكة تهتز لها جدران القاعة:
"أنتِ لا تدركين حجم القوة التي تقفين أمامها. هذا المفتاح الذي تحملينه لا يساوي شيئًا هنا!"

هجم أول حارس حجري عليها، رفعت المفتاح في اللحظة الأخيرة فانبعث منه وميض ذهبي خاطف أصابه بالشلل، هرع اثنان آخران إليها، تراجعت بخفة واندفعت إلى أحد الأعمدة الضخمة، ارتقت عليه بخفة كنعامة تبحث عن الأمان.

غيداء (تصرخ):
"لن أستسلم! الأرض علّمتني أن النسيج يحمي من يحميه!"

رفرفت سلام فجأة من فتحة عالية في القاعة، كانت قد تبعت غيداء سرًا طوال الطريق. هاجمت الحراس بجرأة، تضرب وجوههم بمنقارها وجناحيها لتمنح غيداء فرصة

للحركة.

سلام (تهتف):
" هيا يا غيداء! الذكرى الخالدة... استدعيها الآن!"

تذكرت غيداء الإبرة التي ظهرت عليها رموز الذكرى الخالدة، أخرجتها بسرعة من حزامها، غرستها في الأرض الحجرية بكل قوتها. في اللحظة نفسها، انفجر ضوء أبيض نقي من تحت قدميها، انتشرت خيوط من النور كأنها جذور أشجار، التفّت حول الحراس وشلت حركتهم.

شاحو (يزأر بغضب):
"تجرؤين على استخدام رمز الذكرى الخالدة ضدي؟!"

اقترب منها بخطوات ثقيلة، كل خطوة تجعل الأرض تهتز. رفعت غيداء الإبرة نحو صدره، لكن شاحو مد يده وخطفها قبل أن تصيب هدفها.

شاحو (بصوت مخيف):
" هذه اللعبة انتهت... الرموز ملكي الآن!"

ألقى بيده الأخرى موجة من الظلام اجتاحت القاعة، أطاحت بغيداء إلى الجدار الحجري. شعرت بألم يمزق جسدها، لكنها تماسكت وحاولت النهوض.

اقترب منها شاحو، ويده تمتد نحو مفتاح الذاكرة المعلق على عنقها.

غيداء (تتراجع وهي تلهث):
"لن... تأخذ شيئًا مني!"

ربى وقفت بجانب شاحو، وابتسامة الانتصار ترتسم على وجهها:
"لقد انتهى أمركِ يا غيداء... النسيج الغافي سيعود لمن يستحقه."

مد شاحو يده بقوة أكبر نحوها فارتطمت غيداء بالجدار الحجري بقوة حتى شعرت بأن الهواء انقطع من صدرها، حاولت النهوض لكن قدميها خانتاها. اقترب شاحو بخطوات ثقيلة، ظلاله تلتف حولها كأفاعٍ من حجر.

غيداء (تلهث وهي تحاول الوقوف):
"لن... تحصل على الرموز... حتى لو كان هذا آخر يوم في حياتي!"

مد شاحو يده الضخمة وانتزع مفتاح الذاكرة من عنقها بعنف، بينما وقفت ربى بجانبه، تراقب المشهد بعينين مليئتين بالخبث.

ربى (بصوت ساخر):
"كنتِ تظنين أنني صديقتكِ... لكنكِ مجرد عائق في طريق النسيج الجديد."

حاولت غيداء أن تقف لكنها سقطت على ركبتيها، فمد شاحو يده الأخرى وأطلق خيوطًا سوداء التفّت حول جسدها، ربطتها كدمية لا حول لها ولا قوة.

شاحو (بصوت جهوري):
"ستبقين هنا حتى تذكري كل ما أعرفه عن الرموز. الأرض نفسها ستتشهد على سقوطك!"

رفعت غيداء رأسها رغم الألم، عينيها تتلألآن بالغضب:
"لن أكشف شيئًا... النسيج لن يخضع لكم!"

ضحك شاحو ضحكة مدوية هزت القاعة:
"ستتغيرين... الجميع يتغير هنا."

أشار بيده، فانفتحت في الجدار بوابة مظلمة، دفعت الخيوط السوداء غيداء نحوها بقسوة. سمعت آخر ما قالته ربى قبل أن تغيب في الظلام:

ربى (بهمس قريب من أذنها):
"لن يصدقك أحد بعد الآن... لقد خسرتِ كل شيء."

أغلقت البوابة الحديدية، وساد الصمت في أعماق سجن شاحو.

كانت غيداء تغوص في صمت الزنزانة، تحاصرها الظلال والندم،صوت شاحو تلاشى، لكن صدى كلماته ظل عالقًا في جدران ذاكرتها فجأة... شعّت نقطة ضوء صغيرة من السلسلة المتوهجة امتدّ منها خيط رقيق من النور،
وانشقّ الجدار ببطء كأن الزمن نفسه يُفسح الطريق،ومن ذلك الشق، خرجت امرأة لا تشبه أهل الأرض...
كانت ترتدي عباءة مطرّزة برموز قديمة تضيء وتخبو كأنها تتنفس،عينها اليمنى بلون الذهب، واليسرى بلون الليل، وصوتها أهدأ من النسيم:

"غيداء... حارسة النسيج، حان الوقت لتري الحقيقة."

مدّت يدها، ولمّا تردّدت غيداء، قالت بهدوء:

"أنتِ لم تري كل شيء... دعيني أريكِ ما حُجب عنك."

لم تشعر غيداء بقدميها، بل بانجرافها، كأن الأرض سحبتها للوراء.
تبدّد الظلام... وبدأ المشهد يُحاك من ضوء وذكرى.

ها هي نفسها، غيداء، تستريح من تعب المسير...
وها هي ربى، تراقب من بعيد، بعينين لا تهدآن.

المكان كما تتذكّره، لكن الآن تراه من خارج جسدها، كأنها طيف.

شاهدت ربى تنظر حولها، ثم تمشي بخفةٍ نحو حقيبتها.
شاهدت يد ربى وهي تفتحها...
شاهدت الرمز الغافي يُسحب ببطء من بين دفتي القماش المطرّز.

شهقت غيداء، وعيناها تدمعان.
حاولت أن تصرخ:
"لا! توقفي!"
لكن الزمن لا يسمع من يعود إليه.

تابعت المشهد...
ربى تمشي نحو حقيبة كنعان، تفتح الجيب الجانبي، تضع الرمز، تغلق، وتجلس...
كأن شيئًا لم يكن.

أدارت غيداء وجهها نحو المرأة الغريبة، وهمست:
"لم يكن هو..."

أومأت المرأة، ثم قالت:
"النسيج لا يُخطئ، لكنه يُخفي أحيانًا... حتى تنضجي لرؤية الحقيقة."

عاد الضوء يدور حولها، يطوي المشهد، ويعيدها للزنزانة.
لكن هذه المرة، لم تعد كما كانت،كانت تعرف

كانت سلام تحلّق بسرعة في السماء، ريشها يتساقط من شدة الإرهاق والخوف، تبحث بعينيها البندقيتين عن أثرٍ للمجموعة التي تفرقت منذ ساعات. وأخيرًا، رأت نارًا صغيرة مشتعلة في عمق الوادي، اقتربت منها بسرعة.

كان شهاب وكنعان يجلسان قرب النار، التعب والقلق بادٍ على وجهيهما. ما إن رآها شهاب حتى نهض واقفًا.

شهاب (بصوت مرتفع وقلق):
"سلام! أين غيداء؟ وأين ربى؟!"

هبطت سلام على صخرة قريبة، بالكاد تلتقط أنفاسها:
"غيداء... أُسرت! ربى أخذتها إلى شاحو... لقد نصبوا لها فخًا!"

شهق كنعان، واندفع إلى الأمام:
"ماذا تقولين؟ ربى؟! أنا كنت أعلم أن هناك شيئًا غير طبيعي في تصرفاتها!"

اقترب شهاب، قبضته مشدودة:
"أخبرينا بكل شيء، بسرعة... كيف حدث هذا؟"

سلام (بصوت مرتجف):
"ربى استغلت حزن غيداء بعد أن افترقنا عنكم، أوهمتها أنها تعرف طريق الرمز الثالث، فسارت معها دون تردد. وعندما وصلت إلى حدود وادي الخيطان... ظهر شاحو وحراسه من العدم، حاصروها وخطفوا الرموز منها!"

ضرب كنعان الأرض بقبضته:
"كان عليّ أن أبقى معها... كيف صدقتُ خداع ربى؟!"

شهاب (يحاول التماسك):
"الآن ليس وقت الندم. شاحو ليس خصمًا عاديًا، وقلعة سجونه لا يدخلها أحد ويخرج حيًا."

سلام رفرفت بجناحيها بتوتر:
"لكن لا يمكننا تركها، هي الحارسة الوحيدة التي يمكنها استخدام الرموز. إذا خسرناها... سينقطع النسيج الغافي إلى الأبد!"

وقف كنعان فجأة، عينيه تشتعلان عزيمة:
"لن نتركها! أعرف بعض الممرات القديمة التي تؤدي إلى معقل شاحو... سنستخدمها للوصول قبل أن يتمكن من إيذائها."

شهاب أومأ برأسه وقال بحزم:
"إذاً ننطلق الآن، لا وقت نضيعه. هذه المعركة ستكون الأصعب... وربما الأخيرة."

نظرت سلام إليهما بخوف، لكنها هزّت رأسها موافقة:
"سأقودكم إلى المدخل الذي أخذوا غيداء منه... علينا أن نصل إليها قبل أن ينتزعوا الأسرار منها."

أطفأ شهاب النار بقدمه وقال بصرامة:
"هيا بنا... غيداء لن تبقى هناك وحدها، ليس ما دمنا أحياء."

انطلق الثلاثة بسرعة عبر الظلام، وكل واحد منهم يشعر بأن قلبه يشتعل بالغضب والخوف، لكنهم متأكدون من شيء واحد... إنقاذ غيداء صار هدفهم الوحيد.

كان الظلام يبتلع كل شيء في القاعة الواسعة، لا يُرى فيها سوى ألسنة مشاعل تتراقص على الجدران العتيقة، المزيّنة بنقوش فينيقية قديمة. غيداء كانت مقيّدة بسلاسل ثقيلة إلى عمود حجري في منتصف المكان، وثوبها المطرز ممزق من المعركة، لكنها ما زالت ترفع رأسها بعزة.

دخل شاحو بخطوات بطيئة، ضخم الجسد، كتفاه كأنهما جبلان، ووجهه مغطى بقناع معدني أسود لا تظهر منه إلا عينان تقدحان غضبًا. خلفه كانت ربى، تسير بثقة، ابتسامة باردة على شفتيها.

شاحو (بصوت عميق يزلزل القاعة):
"أنتِ الحارسة... أخيرًا وقعتِ في شِباكي. كم من الوقت انتظرت هذه اللحظة!"

رفعت غيداء رأسها بعينين متحديتين:
"لن أعطيك شيئًا، مهما فعلت."

ضحكت ربى باستهزاء واقتربت منها:
"أنتِ لا تدركين حجم قوتكِ، ولا خطورة الرموز التي تحملينها. شاحو وحده من يستطيع استخدام هذه القوة."

غيداء (تحدق في ربى بغضب):
"كنتِ معنا كل هذا الوقت... وخنتِنا. لماذا؟!"

اقترب شاحو أكثر حتى شعرت أنفاسه الثقيلة على وجهها:
"الرموز ليست لأطفال يظنون أنهم يحرسون التراث. إنها قوة الأرض، وأنا من سيعيد العالم إلى صورته الحقيقية... بالقوة."

شدّت غيداء قيودها بقوة لكنها لم تتحرك، فقالت بثبات:
"القوة الحقيقية ليست في السيطرة، بل في حفظ الذاكرة.
لن أكون سببًا في تدمير الأرض."

ربى اقتربت وهمست في أذنها بسخرية:
"سوف تغيّرين رأيك قريبًا، عندما تدركين أنكِ وحدكِ بلا أحدٍ ينقذك."

شاحو (بصوت حاد):
"أحضِروا الرموز!"

دخل حراسه، وهم مخلوقات تشبه الظلال، يحملون الرموز التي انتزعوها من حقيبة غيداء. وضعوها أمام شاحو، الذي رفعها بين يديه كأنها كنوز لا تُقدّر بثمن.

شاحو (ينظر إلى غيداء):
"لدي الآن مفتاح الذاكرة... والذكرى الخالدة... لكن لا أستطيع تفعيلهما بدونكِ. أنتِ ستفعلين ذلك... بإرادتك أو بالقوة."

ردّت غيداء بحزم:
"حتى لو أخذت حياتي... لن أساعدك."

اقترب شاحو فجأة، وأمسك وجهها بيده الحديدية:
"سنجرب طرقًا أخرى إذًا... وسنرى كم ستتحملين قبل

أن تنهاري."

ربى التفتت إلى شاحو:
"أعطني الفرصة، أعرف كيف أجعلها تتكلم. هي تثق بي أكثر مما تظن."

نظر إليها شاحو للحظة، ثم قال ببطء:
"حسنًا يا ربى... لكن تذكري: إن فشلتِ، ستكونين أول من أدمره."

ابتسمت ربى ابتسامة ماكرة، واقتربت من غيداء، عينيها تلمعان بخبث:
"لنرى يا حارسة... كم أنتِ قوية حقًا."

كانت غيداء لا تزال مقيدة إلى العمود الحجري، وجسدها يؤلمها من القيود الثقيلة. ربى جلست أمامها بهدوء غير مبرر، كأنها لا ترى كل ذلك الظلام المحيط. أخرجت قطعة خبز وزيت زيتون، واقتربت منها بابتسامة مصطنعة:

ربى (بصوت هادئ):
"أنتِ متعبة... جائعة... أليس كذلك؟ لا داعي لكل هذا العناد يا غيداء. ساعدينا، وستعيشين بسلام."

غيداء رفعت رأسها بتحدٍّ:
"سلامكِ زائف. أنتم تريدون تدمير النسيج الغافي. لن

أكون جزءًا من هذا."

اقتربت ربى أكثر، وضعت يدها على كتف غيداء وكأنها صديقة:
"أنتِ تفكرين بالعاطفة، لكن فكّري بعقلك هذه المرة.
شاحو قوي، معه الحراس والرموز. حتى أصدقاؤكِ لن يجرؤوا على الاقتراب. لماذا تموتين لأجل قضية ميؤوس منها؟"

غيداء أغلقت عينيها بقوة، تذكرت وجوه شهاب، كنعان وسلام، وتذكرت كلمات رقية: "الأرض معكِ دائمًا."
غيداء (بثبات):
"لن تخدعيني. أنا أعرف من أنتِ، وأعرف أنكم ستخسرون."

ابتسمت ربى بخبث، واقتربت حتى همست في أذنها:
" هل تعلمين؟ شاحو لا يحتاج سوى لمسة منكِ لتفعيل الرموز. إذا رفضتِ... سيجعل الأمر مؤلمًا للغاية."

لكن غيداء لم تتزحزح. نظرت إلى ربى بعينيها البندقيتين وقالت بهدوء:
"لن أكون السبب في محو ذاكرتنا. اقتلوني إن شئتم."

ربى غضبت، ضربت العمود بيدها بقوة، ثم صاحت:
"سوف تندمين يا غيداء... قريبًا جدًا!"

كانوا يسيرون بصمت عبر وادي الخيطان، يتبعون أثرًا تركته سلام في الهواء عبر ريشها الذهبي لتحديد اتجاه غيداء.

شهاب (بصوت منخفض):
" هذا المكان مليء بفخاخ الظلال."

كنعان (غاضب):
" غيداء وحدها الآن، وقد أخذت الرموز معها."

سلام (تحلق فوقهما بخوف):
" علينا أن نكون حكماء. إذا اقتربنا بلا خطة، سنسقط في أيدي شاحو قبل أن نصل إليها."

شهاب توقف فجأة، وأخرج خريطة قديمة من جيبه،
أشار إلى نقطة قرب جبل منقوش:
" هنا مخبأ شاحو. لكن الطريق مليء بحراسه... الظلال التي لا تموت بسهولة."

كنعان (يحزم سيفه):
"سنقاتلهم حتى النهاية. غيداء لن تُترك وحدها."

سلام حامت حولهم وقالت بحزم:
"علينا استخدام الرمز إن استطعنا. الذكرى الخالدة أقوى مما نتصور، ربما تكون فرصتنا الوحيدة."

شهاب أومأ برأسه:
"سنصل إليها... مهما كلف الأمر."

معركة حرس شاحو

اقترب شهاب وكنعان وسلام من أطراف مخبأ شاحو. كانت القلعة الصخرية ترتفع أمامهم كأنها جزء من الجبل نفسه، محاطة ببوابات حجرية منقوشة برموز فينيقية قديمة تتوهج بلون أحمر مخيف.

فجأة، تصاعدت من الأرض ظلال كثيفة تحولت إلى كائنات بشرية الشكل، لكن وجوهها كانت فارغة بلا ملامح، وأجسادها مغطاة بدروع سوداء متشققة.

سلام (بصوت منخفض):
"إنهم حرس شاحو... أرواح محبوسة منذ قرون. لا يرحمون."

شهاب (يشد قبضته على رمحه):
"لا خيار أمامنا سوى القتال... انتبهوا، ضرباتهم ليست عادية."

اندفع الحراس نحوهم بسرعة مروعة. الأول قفز على كنعان بسيف أسود ضخم، لكن كنعان صد الضربة بصعوبة، فتطاير الشرر بين السيوف.

كنعان (يصرخ):
"إنهم أقوياء جدًا!"

قفز حارس آخر نحو شهاب، لكن الأخير انحرف بخفة وطعنه برمحه في صدره. غير أن الحارس لم يسقط، بل تعافى بسرعة وهاجم من جديد.

شهاب (بغضب):
"لا فائدة من قتلهم... علينا أن نضعفهم بالضوء!"

سلام طارت فوق المعركة وأطلقت ريشًا ذهبيًا مضيئًا نحو الحراس، فتراجعت بعض الظلال صارخة. لكن العدد كان كبيرًا، يحيط بهم من كل الجهات.

سلام (تصرخ):
"إنهم كثيرون! لا يمكننا الاستمرار هكذا!"

كنعان (يتنفس بصعوبة):
"إذا لم نجد طريقة لوقفهم، لن نصل لغيداء!"

ازدادت المعركة شراسة. كنعان أصيب بجرح في ذراعه لكنه استمر يقاتل بشجاعة. شهاب ضرب الأرض برمحه فخرج وميض قصير من الرمز أضعف الحراس مؤقتًا.

شهاب (يصرخ):
"الطريق مفتوح! فلنهرب قبل أن يعودوا!"

اندفعوا بسرعة عبر البوابة الحجرية بينما الحراس يتلاشى عدد منهم ببطء، لكن أصوات صرخاتهم ظلت تلاحقهم. دخلوا إلى دهاليز القلعة المظلمة، وقلوبهم مليئة بالقلق على غيداء.

لقاء شاحو

كانت القلعة أشبه بمتاهة مظلمة، أروقتها مليئة بالأصداء القديمة، والهواء فيها ثقيل برائحة البخور والفناء.
شهاب يقود الطريق، يحمل رمحه بإحكام، بينما كنعان يمشي خلفه متأهّبًا بسيفه، وسلام تحوم حولهم كظلّ أبيض سريع.

سلام (بصوت خافت):
"أشعر بطاقة غريبة... غيداء قريبة من هنا، لكن الظلال

تحجب حضورها."

شهاب (بحدة):
"سنجِدها مهما كان الثمن. لا تدعي الخوف يشوشك يا سلام."

اقتربوا من قاعة العرش، حيث كان صوت شاحو يجلجل في الأرجاء. شهاب أشار بيده لرفاقه بالتوقف خلف الباب الحجري الكبير، ثم دفعه فجأة فانفتح بقوة، ارتدّ صدى الصوت في كل القلعة.

شهاب (بصوت صارخ):
"شاحو! ايها اللعين

التفت شاحو ببطء، عينيه المتوهجتين تخترقانهم من خلف القناع الحجري. كانت غيداء ما زالت مقيدة، شاحبة لكنها واقفة بعناد. ربى التفتت بدورها، لكن ابتسامتها لم تتغير.

شاحو (ساخرًا):
" ها هم الأبطال المزعومون... تأتون إلى فخي بأقدامكم."

أشار بيده، فانطلقت الظلال السوداء من الأرض لتتشكل حول القاعة، تتحرك كجنود لا وجوه لهم، يحملون أسلحة

من العتمة نفسها.

كنعان (ممسكًا بسيفه):
"أخفيتِ حقيقتكِ طويلًا يا ربى... لكن نهايتكِ ستكون هنا."

ربى (تضحك بخبث):
"لا تنسَ يا كنعان... أن غيداء نفسها هي من طردتك. هل ستقف حقًا في صفّها؟"

اشتعل الغضب في عيني كنعان لكنه لم يرد، بل تقدّم بجانب شهاب في مواجهة شاحو.

شاحو (بصوت جهوري):
"اقضوا عليهم!"

اندلعت المعركة، الظلال تحيط بهم من كل جانب. شهاب يقاتل بكل قوته، رمحه يلمع بضوء كأنه يقدّس الأرض، بينما كنعان يشق الصفوف بسيفه. سلام تحلّق فوقهم، تشتت الظلال بريشها الذهبي.

لكن شاحو لم يتحرك بعد. كان يراقب غيداء، يحاول إنهاء انتزاع قوتها. شعرت غيداء أن الخيوط التي تربطها بالنسيج الغافي تتقطع ببطء.

غيداء (بصوت مرتجف):
"لن... أستسلم..."

سمعها شهاب، فالتفت بسرعة وصرخ:
"غيداء! تمسكي بما في قلبك، النسيج معكِ!"

لكن شاحو انتبه لتحفيز شهاب، فضرب الأرض بعصاه، فتفجرت دائرة من الطاقة السوداء دفعت شهاب وكنعان بعيدًا.

شاحو (مزمجرًا):
"لن تلمسوها... إنها المفتاح الأخير!"

غيداء أغلقت عينيها بشدة، وفي يدها حاولت تذكّر الرموز التي تحملها. الذكرى الخالدة بدأت تلمع بين أصابعها المقيدة.

سلام (تهتف):
"غيداء! استخدمي الرمز الآن وإلا سنخسر!"

غيداء تشعر بثقل اللحظة يزداد، ترفع يدها المقيدة ببطء، يضيء رمز الذكرى الخالدة بضوءٍ أبيض دافئ ينبثق من بين أصابعها، ينساب في الهواء كخيط من نور.

تتردد كلماتها بهمسٍ في أذنها:
"لتعود الذاكرة، ولينكشف الحق في النسيج."

فجأة، يملأ الضوء المكان، يشتد ويصبح شعاعًا قويًا يعانق الظلال السوداء، يزلزل القاعة بأكملها. تتلاشى بعض الظلال المتحركة، وتنكشف رسومٌ كنعانية قديمة على جدران القلعة، تحكي قصص أبطالٍ من زمن بعيد، ومجد الأرض.

شاحو يتراجع، عينيه تلمعان بحيرة وخوف:
"لا... لا يمكن! كيف؟!"

شهاب وكنعان يستعيدان قوتهما ويتقدمان بحذر نحو غيداء.

سلام تحوم حول غيداء، تردد:
"الرمز يحرر الماضي ليحمي الحاضر."

غيداء، وهي تستمد طاقتها من النور، تنادي:
"شاحو، لم نأتِ لنكون أعداء، بل لنحفظ الأرض وذاكرتها، توقف عن إلحاق الأذى."

شاحو يصرخ بنبرة يأس:
"أنتم لا تفهمون... النسيان هو قوتي، بفضله أسيطر على كل شيء!"

لكن النور يتزايد، يغلف شاحو ويبدأ بالتحلل تدريجيًا، يصرخ في الألم وهو يتلاشى في ظلال تتبدد.

تتنفس المجموعة الصعداء، ويشعر الجميع بأن السلام يعود تدريجيًا إلى المكان.

شهاب ينظر لغيداء بإعجاب:
"لقد أنقذت الجميع، أنتِ الحارسة الحقيقية."

كنعان يبتسم:
"القوة الحقيقية تكمن في الفهم والذاكرة."

سلام ترفرف بجانبهم، تقول:
"الرحلة لم تنتهِ بعد، لكن اليوم، النسيج أصبح أقوى."

بينما كان النور يتلاشى ويعم السلام المكان، لاحظ شهاب فجأة أن ربى لم تعد إلى جانبهم.

نظر حوله بسرعة، ثم قال بقلق:
"ربى... أين هي؟"

تقدم كنعان وهو ينظر حوله بتركيز:
"لم أرَ لها أي أثر منذ اشتداد المعركة."

سلام حلق فوقهم، تنظر باتجاه الممرات المظلمة، وقالت بصوت منخفض:
" رحلت في الخفاء، لا شيء يدل على مكانها."

رغم تعبها الشديد، شعرت غيداء بوخزة غريبة في قلبها، وكأنّ شيئًا ما ينذر بخطر قريب.

عزم شهاب على اللحاق بها وقال بحزم:
"سنجدها، مهما كان الثمن. لا يمكن أن نسمح لها أن تفسد ما حققناه."

توجه الجميع نحو مخرج القلعة، يحملون في صدورهم قلقًا متجدّدًا، مدركين أن رحلتهم لم تنتهِ بعد، وأن الظلال ما زالت تلوح في الأفق.

وقفت غيداء أمام كنعان، تنظر إليه بندم عميق، وقالت بصوت هادئ:
"كنعان، أعتذر منك. لقد أخطأت حين ظننتُ أنك سرقت الرمز."
ابتسم كنعان برقة:
"ولمَ ظننت ذلك؟"
أضافت غيداء:
"كنت خائفة ومرتبكة، والظروف أثرت عليّ، لكن الآن أعلم أنك إلى جانبي، لا ضدي."
رد كنعان بثقة:

"المهم أن تصدقي الحقيقة، فنحن معًا لنحمي ما نؤمن به."
ابتسمت غيداء وقالت:
"لن أشك فيك مرة أخرى."

خرجت المجموعة من القلعة المثقلة برائحة الظلال المتبقية، والهواء في الخارج كان أكثر نقاءً لكنه يحمل برودة غريبة. توقفت غيداء للحظة عند المدخل، تتأمل السماء التي بدأت تغطيها غيوم رمادية ثقيلة، كأنها تحذرهم من القادم.

قال شهاب بنبرة حازمة وهو يسير أمامهم:
"لا وقت للراحة الآن، إن هربت ربى ومعها شيء من الرموز، فقد نواجه خطرًا أكبر مما نتخيل."

سار كنعان إلى جانب غيداء محاولًا التخفيف عنها:
"لا تلومي نفسكِ، ربى كانت تخفي أمرها منذ البداية، لكننا سنكشف حقيقتها قريبًا."

أومأت غيداء بصمت، لكنها كانت تشعر بثقل أكبر في قلبها، وكأن ربى ما زالت تراقبهم من بعيد.

حلقت سلام فوقهم وهي تنظر للأفق:
"يجب أن نجد مأوى قبل أن يحل الليل. هذا الطريق لن

يكون آمنًا في الظلام."

أجابها شهاب وهو يراقب الطريق أمامه بعينين حادتين:
"أعرف مكانًا يمكن أن نحتمي فيه الليلة، لكنه يبعد ساعة سيرًا على الأقل. علينا أن نسرع قبل أن يبتلعنا الظلام."

واصلوا السير وسط الغابة التي بدأت تتشابك أشجارها، تتسلل الرياح الباردة بين الأغصان لتصدر صفيرًا يشبه الهمسات القديمة. كلما خطوا خطوة، كان شعور المراقبة يزداد حدة.

سلام رفرفت بخفة وهي تحوم فوقهم:
" هل تشعرون بذلك؟ وكأن العيون تراقبنا من كل اتجاه..."

شهاب أومأ دون أن يلتفت:
" هذا طبيعي هنا، الغابة تحتفظ بأسرارها، لكن لا يجب أن نضيع وقتنا في الخوف."

وفجأة، انكسر صمت المكان بصوت بعيد، كأن غصنًا جافًا قد انكسر تحت قدم أحدهم. توقفت المجموعة في مكانها، التفتت غيداء نحو الصوت، وضغطت على الرموز في حقيبتها بقوة.

قال كنعان بحذر:
"ربما هي ربى... أو شيء آخر يتبعنا."

رد شهاب وهو يضع يده على سيفه:
"مهما كان، لن نسمح له بالاقتراب. تابعوا السير، لكن ابقوا مستعدين لكل شيء."

ساروا بخطوات أسرع نحو الملجأ الذي وعدهم به شهاب، لكن غيداء لم تتوقف عن التفكير:
ربى تعرف كيف تخفي آثارها... لكن لماذا أشعر أنها أقرب مما نظن؟

ومع آخر خيط من ضوء النهار، بدت ملامح كوخ حجري مهجور بين الأشجار، مكان بدا وكأنه ينتظرهم منذ زمن بعيد.

الداخل كان أثقل من الخارج، تفوح منه رائحة الخشب القديم والرطوبة. أشعل شهاب مصباحًا زيتياً عثر عليه في زاوية مظلمة، فتراقص الضوء على الجدران الحجرية العتيقة، كاشفًا عن نقوش باهتة لا تكاد تُرى.

قال كنعان وهو يضع حقيبته أرضًا:

"أخيرًا سنأخذ قسطًا من الراحة... أشعر أن قدمي لم تعودا تحتملان الطريق أكثر."

رد شهاب بنبرة جادة وهو يتفقد الأركان:
"لا تنخدع بالمكان، لا شيء يضمن أنه آمن."

جلست غيداء بالقرب من المدفأة الحجرية التي لم يُشعل فيها الحطب منذ زمن طويل، أخذت نفسًا عميقًا وقالت:
" هذا الكوخ... أشعر أن فيه شيئًا غريبًا، كأنه شاهد على حكايات قديمة."

سلام حطّت على حافة النافذة المكسورة، تنظر للظلام في الخارج، ثم قالت:
"ربى كانت دائمًا قادرة على إخفاء نفسها، ربما تتبعنا الآن. يجب أن نكون مستعدين لأي طارئ."

اقترب كنعان من غيداء وجلس قبالتها:
"لن نسمح لها بخداعنا مرة أخرى. لكن يجب أن نعرف خطوتنا التالية. ما الرموز التي نبحث عنها الآن؟ وأين قد نجدها؟"

غيداء أخرجت مفتاح الذاكرة ورمز الذكرى الخالدة من حقيبتها، وضعتها أمامها ونظرت إليهما بتركيز:
"ما زلت أشعر أن هناك خيطًا يربط بين هذه الرموز ومصير النسيج الغافي... لكن لا أملك الإجابة بعد."

شهاب الذي كان يراقب النقوش على الجدار، قال فجأة:
"تعالوا وانظروا... هذه النقوش ليست عشوائية، إنها تشبه الرموز نفسها التي نحملها."

اقترب الجميع من الجدار، حيث ظهرت رسوم باهتة لدوائر وخطوط متشابكة. أضاءت غيداء مفتاح الذاكرة قربها، فإذا بالنقوش تلمع قليلاً، كما لو أن شيئًا استيقظ بداخلها.

همست سلام بخوف:
" هل يمكن أن يكون هذا الكوخ مرتبطًا بالنسيج الغافي؟"

شهاب أومأ بحذر:
"ربما... أو ربما هو فخ. علينا أن نتأكد قبل أن نفعل أي شيء."

في تلك اللحظة، انبعث صوت خافت أشبه بالأنين من أعماق الكوخ، فتجمدت أنفاس الجميع. تبادلت غيداء وكنعان النظرات، فيما قبض شهاب على سيفه واستدار نحو مصدر الصوت في الممر الخلفي.

قال كنعان بصوت منخفض:
"لم يكن هذا المكان فارغًا كما ظننا.

تقدم شهاب بحذر نحو الممر، مصباحه الزيتى يضيء طريقه بين الظلال، بينما تبعه كنعان وغيداء ببطء، تنبض قلوبهم بتوتر متزايد. سلام حلقت بخفة فوق رؤوسهم، تراقب بعيونها الحادة كل حركة.

اقتربوا أكثر، فإذا فجأة انفتح جدار حجري ببطء، كاشفًا عن ممر سرّي مظلم يمتد نحو أعماق الأرض.

قال شهاب بحزم:
" هذا الممر... قد يقودنا إلى سرٍّ قديم، ربما هو المفتاح لفهم رموز النسيج الغافي."

تردد كنعان قبل أن يقول:
"لكن ماذا لو كان هذا فخًا؟ ماذا لو كنا ندخل عقر دار العدو؟"

أجابت غيداء بثقة:
"لن نعرف إلا إذا تقدمنا. هذه الرموز ودلالة هذا الكوخ، كلها تشير إلى أن الحل بين هذه الجدران."

ومع تردد لحظي، بدأ الثلاثة يمشون داخل الممر، بينما أغلق الجدار خلفهم ببطء، تاركًا ضوء المصباح الزيتى وحده يواجه الظلام الدامس.

وكان صوت الأنين لا يزال يتردد في الأعماق، وكأنه

يناديهم للكشف عن أسراره المدفونة

داخل الممر الضيق، الهواء يزداد برودة والرطوبة تغطي الجدران الحجرية التي تحمل نقوشًا فلستينية قديمة. أضاء شهاب المصباح الزيتّي، فبدت رسومات حيوانات وحصون متشابكة، ورموز تدل على صراعات قديمة بين الفلستيين وأعدائهم.

غيداء همست:
"هذه رموز فلستية، تظهر أسطورة 'داغون'، إله البحر والحصاد لديهم... تحكي عن صراعٍ بين داغون وقوى الظلام التي تهدد الأرض."

كنعان أشار إلى نقش آخر:
"وها هو رمز 'عشتروت'، إلهة الحب والخصوبة، والتي كانت الفلستيون يعبدونها ليحصلوا على البركة والوفرة."

سلام طارت حولهم وهي تحذر:
"لا ننسى أن الأساطير الفلستية تحكي عن مخلوقات سحرية تحرس أسرار الأرض، لا زالت أرواحها تحوم هنا."

وصلوا إلى قاعة كبيرة، فيها منصة حجرية عليها خيوط متشابكة تشبه شبكة النسيج الغافي. أضاءت غيداء

مفتاح الذاكرة، فبدأت الخيوط تتوهج بصوت همسات قادمة من الزمن القديم.

فجأة، تعالت أصوات خطوات تقترب، وأدركوا أن الرحلة ما زالت محفوفة بالمخاطر وأن قصة الأرض الفلستية لم تُروَ بعد

تجمد الجميع في أماكنهم عندما تعالت الخطوات أكثر فأكثر، تردد صداها في أرجاء القاعة الحجرية كأنها قرع الطبول. شدّ شهاب قبضته على سيفه، بينما رفرفت سلام بخوف فوق كتف غيداء.

قال شهاب بصوت منخفض وحازم:
"كونوا على استعداد... هذا الصوت لا ينتمي إلى البشر."

غيداء تقدمت بحذر نحو المنصة، عيناها تلمعان بنور مفتاح الذاكرة، وقالت:
"أشعر أن الرمز الثالث قريب... إنه هنا بين هذه الخيوط."

لكن قبل أن تلمس الخيوط المتوهجة، خرج من الظلال مخلوق هائل، نصفه بشري ونصفه بحري، يحمل رمحًا ضخمًا تتدلى منه شباك ممزقة. عيناه تشتعلان بلون

أزرق غامق، وصوته كالرعد:
"من يجرؤ على تدنيس قاعة داغون المقدسة؟!"

كنعان تراجع خطوة وهو يهمس:
"إنه حارس الأساطير... روح داغون نفسها أو إحدى مخلوقاته!"

سلام صاحت:
"احذروا! هذه الأرواح لا تعرف الرحمة، وُجدت لتحمي الرموز حتى الموت."

اندفع المخلوق نحوهم بقوة، فاهتزت الأرض تحت أقدامهم. شهاب تصدى له بسيفه، لكن الضربة الأولى كادت تكسره نصفين. غيداء أمسكت الإبرة التي حملت رمز الذكرى الخالدة، ونظرت إلى الخيوط المتوهجة على المنصة.

قالت بصوتٍ ثابت رغم الخوف:
"إننا لا نسرق ما ليس لنا، نحن هنا لحماية النسيج الغافي! إن كنت حارس الرموز، فدعنا نصل إليها."

ضحك المخلوق بسخرية، ارتجفت القاعة كلها:
"الكلمات لا تكفي. أثبتوا قوتكم أو مصيركم سيكون الظلام الأبدي!"

اندلعت معركة شرسة، المخلوق يستخدم رمحه كسلاح وقوة بحرية عاتية تندفع من كل جانب، في حين حاول شهاب وكنعان صد هجماته بكل طاقتهم. سلام كانت تحلق بسرعة تحذرهم من كل ضربة.

لكن المخلوق كان أقوى منهم جميعًا. سقط شهاب على الأرض يتنفس بصعوبة، وكنعان بالكاد استطاع الوقوف. تقدمت غيداء وهي ترفعِ المفتاح والإبرة معًا، تهمس لنفسها:
"إذا كنا نبحث عن الذكرى الأخيرة... فهي هنا، في صميم الأرض."

وضعت الإبرة في مركز الخيوط على المنصة، وفجأة أضاء المكان بنور ذهبي هائل. سمع الجميع أصوات نساء ورجال من زمن الفلستيين ينشدون أغنية قديمة:

"ذكّروا الأرض بأبنائها،
ليستيقظ البحر ويعود الحصاد،
ولتنهض الذاكرة الأخيرة في القلوب."

توقف المخلوق فجأة، عيناه امتلأتا بالهدوء. انحنى أمام غيداء وقال بصوت أقرب للهمس:
"لقد استعدتِ رمز الذكرى الأخيرة. الأرض تعترف بكِ حارسة لها... تابعي طريقكِ، لكن احذري... الظلال تعرف قوتكِ الآن."

اختفى المخلوق في موجة من الضوء، وبقيت غيداء تحمل الرمز الثالث الذي بدأ يلمع بين يديها كنبض قلب الأرض.

شهاب قال وهو يتنفس بصعوبة:
"كسبنا المعركة... لكنني أشعر أن هذا مجرد بداية لما ينتظرنا."

غيداء أومأت وهي تشدّ على الرمز الجديد:
"الذكرى الأخيرة... هذه المرة، لن نسمح لأي شيء أن يفرقنا عنها."

تقدمت غيداء بخطى ثابتة نحو المخرج، وبيدها يضيء رمز الذكرى الأخيرة كأنه ينبض بحياة خفية. نظرت إلى رفاقها الذين أظهر التعب واضحاً على وجوههم، لكنها شعرت بزمام المسؤولية أكبر من أي وقت مضى.

شهاب، الذي كان يراقب السماء الملبدة بالغيوم الداكنة، قال بقلق:
"علينا الإسراع، فالظلال تتجمع بسرعة، ولن تمنحنا فرصة ثانية."

كنعان، وهو يمسح العرق عن جبينه، أضاف:

"لقد استعدنا الرموز الثلاثة، لكن هذا لم يكن سهلاً.
مازال هناك رمز واحد يجب أن نجدّه."

سلام حلق فوقهم بحذر، تنظر لكل زاوية من حولهم:
"الطريق إلى جبل النول العظيم محفوف بالمخاطر، لكن هناك أمل في أن نكمل رحلتنا."

غيداء، ممسكة بالرمز بشدة، قالت بثقة:
"سنواجه ما يأتي، كما واجهنا من قبل. النسيج الغافي في قلوبنا، ولن نسمح له أن يُمزق."

بدأوا السير نحو المجهول، والضوء الخافت من الرمز الثالث يضيء طريقهم، بينما كان جبل النول العظيم يلوح في الأفق، شامخاً كأنه ينتظرهم ليكشف أسراره الأخيرة كانت الرياح الباردة تعصف بين تلال وادي النول العظيم، تحمل معها أصوات الماضي وهمسات الأجداد التي تتردد في أرجاء المكان. الغيوم الرمادية الكثيفة حجبت السماء، والضباب الكثيف بدأ يتسلل ببطء ليغلف القرية القديمة، التي كادت تبدو مهجورة إلا من آثار الزمن.

في قلب هذا المشهد، وصلت غيداء وشهاب وسلام وكنعان وهم يشعرون بثقل الرحلة وتهديد الخطر الذي لم يفارقهم. تقدموا بحذر، وكل خطوة كانت تثير صوت حفيف الأحجار المتكسرة تحت أقدامهم.

فجأة، من بين الظلال الكثيفة، خرجت فتاتان ترتديان ملابس تراثية متقنة، مزيج بين الأزياء الفينيقية والفلستينية، تحملان نظرات حذرة ومتوترة.

كانت الأولى دليلة، عيناها تلمعان بالقوة والعزيمة، بينما الثانية ملكات تنظر بحذر وتوتر، وكأنها تراقب كل حركة لهم.

تقدمت دليلة بصوت منخفض لكنه حازم:
"من أنتم؟ وما الذي جاء بكم إلى هذه الأرض المقدسة؟"

تبادل الجميع النظرات، وشعرت غيداء بأن هناك شيئًا غير مألوف في اللقاء، وكأن هذه الفتاتان تحملان سرًا كبيرًا، لكنه لم يحن وقت الكشف عنه.

ردت غيداء، بنبرة توحي بالاحترام والحذر:
"نحن حراس النسيج الغافي، جئنا لنحمي تراث الأرض وأسرارها من الضياع."

ابتسمت ملكات ابتسامة خفيفة، لكنها لم تخف تحفظها:
"الكلمات سهلة، لكن الأفعال هي التي تثبت النوايا... سنرى إن كنتم جديرين بالثقة."

وقف شهاب بجانب غيداء وقال بحزم:
"نحن بحاجة إلى تعاونكم. الطريق أمامنا مليء

بالمخاطر، ولا يمكننا اجتيازه إلا معًا."

هبت ريح باردة فجأة، وزادت كثافة الضباب، وأخذت الأصوات تختفي تدريجيًا خلف ستار من الغموض، بينما وقف الجميع ينتظرون بفارغ الصبر ما سيأتي بعد هذا اللقاء المصيري
(تحت ظل جبل النول العظيم، الرياح تعصف خفيفًا، دليلة وملكات تتحدثان بغموض وحذر، وغيداء تتابع بصمت واهتمام)

دليلة (بنبرة حادة وواثقة):
"نحن الفلستيون، أهل البحر والرياح، كنا نعيش بين الأمواج ونحترم قوة البحر. "ليلة النار" كانت موعدنا مع أجدادنا، حيث نروي قصص الأبطال ونرتدي أقمشة تطرز عليها رموز تحمي من العين الشريرة. كانت لنا لغة سرية في تطريزاتنا، كل خيط يحمل معنى."

ملكات (تتنهد ببطء وتكمل بحدة):
"أما نحن الفينيقيات، فنحن أبناء التجارة والذهب، نبني مدنًا تحكي قصص ازدهار وفن. كان لباسنا مزخرفًا بالذهب والياقوت، لا زينة فقط بل رمزًا لقوة النساء ومكانتهن في المجتمع. نحتفل بـ"عيد الأزهار"، حيث ترقص النساء وتُشعل الشموع لتبارك الأرض والخصوبة."

دليلة (تتطلع للأفق بعينين متأملتين):
"على الرغم من حروبنا ومآسينا، حافظنا على تراثنا بخيوط من الشجاعة والذكريات. النسيج الذي نحمله ليس مجرد قماش، بل هو روح أجدادنا."

ملكات (بصوت منخفض لكنه حازم):
"وفي كل قصة نرويها، تحيا حضارتنا، رغم محاولات الطمس والسرقة، نحن هنا لنظل حراس الذاكرة."

سلام (تحوم بهدوء حولهن):
"النسيج الغافي... قوة لا تُمحى، لا يمكن لظلال النسيان أن تبتلعها."

كنعان (يبتسم بخفة):
"قوة لا تخرج فقط من الكلمات، بل من دموع وعرق من حملوا هذه الأرض في قلوبهم."

(تستمر المجموعة في الجلوس تحت ظل جبل النول العظيم، الهواء بارد، والغيوم تتكاثف في السماء، كأنها تحذر من عاصفة مقبلة)

غيداء (بصوت منخفض لكن حازم):
"كلما تعمقنا في قصصكم، أدركتُ أن النسيج الغافي ليس مجرد تراث، بل هو دم الأرض نفسها. وإذا ما ضاع، تضيع الذاكرة ويختفي الهوية."

دليلة (بابتسامة حزن):
"نعم، أجدادنا كانوا يحاربون ليحافظوا على جذورهم، لكن في النهاية، الأرض تبتلع الجميع... إلا من يبقى قويًا بما يكفي ليقاوم."

ملكات (تتنهد بعمق):
"وهنا تكمن معركتنا الحقيقية، ليس فقط مع أعدائنا، بل مع الزمن والظلال التي تحاول أن تسرق ذاكرتنا."

سلام (تطير فوق المجموعة، تهمس):
"كل رمز معنا هو خيط في هذا النسيج، فإذا فقدناه، سيفقد جزء من روحنا."

شهاب (يقف واقفًا متأملاً):
"مهمتنا ليست سهلة، لكنها واجبنا. التراث لا يُعطى، بل يُحفظ ويُقاتل من أجله."

كنعان (ينظر لغيداء بعينين مليئتين بالعزيمة):
"معًا سنكون أقوى من كل الظلال. لن نسمح لأحد أن يمحو ما صنعته أيدينا وأرواحنا."

غيداء (تمسك بالرمز الثالث بإحكام، وتبتسم بثقة):
"لن نستسلم، مهما كانت الظلال كثيفة، النور في داخلنا سيهزمها."

(تسير المجموعة ببطء في طرق جبل النول، الرياح تعصف والأرض وعرة. غيداء تمسك الرموز الثلاثة بقوة، والغضب يملأ عينيها)

غيداء (بصوت حازم):
"لن أرتاح حتى نجد ربى... كل ما حدث كان بسببها."

شهاب (يتفقد الطريق بعينيه):
"ستترك أثراً، مهما حاولت التخفي. أعرف طريقتها جيداً."

كنعان (يقبض على سيفه):
"حين نجدها... لن أسمح لها بأن تؤذي غيداء ثانية."

سلام (تحوم فوقهم):
"أشعر بطاقة مظلمة أمامنا... إنها ليست وحدها."

(فجأة، يرون في البعيد ظلاً يتحرك بين الصخور، شعر أسود يتطاير مع الريح)

غيداء (تصرخ):
"ربى!"

(ربى تلتفت ببطء، ابتسامة باردة ترتسم على شفتيها، ثم

تبدأ بالركض نحو ممر ضيق في الجبل)

شهاب (بغضب):
"لا تدعوها تهرب!"

(ينطلق الجميع خلفها، الطريق يضيق أكثر فأكثر حتى يصلوا إلى ساحة حجرية واسعة بين الصخور. وفجأة، الأرض تهتز تحت أقدامهم وتغلق الممرات خلفهم)

ربى (تظهر على منصة مرتفعة فوقهم، تنظر إليهم بنظرة انتصار):
"أهلاً بكم في مجلس الظلال... تماماً حيث أردتكم أن تكونوا."

غيداء (بغضب):
"خائنة! إلى أين أخذتنا؟!"

ربى (بصوت بارد):
"إلى سيدكم الحقيقي... أمروث ينتظركم."

(من أعماق الجبل، يخرج صوت زئير هائل يهز المكان، وتتسلل ظلال ضخمة تشبه الحراس المتوحشين لتطوق المجموعة من كل جانب)

شهاب (يتأهب للقتال):

"لقد نصبت لنا فخاً.. استعدوا، هذه المعركة لن تكون سهلة!"

غيداء (تمسك الرموز الثلاثة وتهمس):
"لن أسمح لها بسرقتها... مهما كان الثمن."

اهتزّت الأرض تحت أقدامهم فجأة، وانفجر الظلام من بين الصخور كأن الجبل ينفث غضب قرون مدفونة.
ارتفع صوت عميق كالرعد يخترق الأذن:

أمروث (بصوت مزلزل):
"من تجرّأ ودخل محراب الجبل؟ من أتى حاملًا رموز الذاكرة ليلقي بها بين يدي؟!"

ظهر جسد هائل من بين شقوق الجبل، عيناه تلمعان بلون نارٍ داكنة، وقرونه الضخمة تلامس سقف الكهف.
تقدّم خطوةً، فاهتزّت الأرض أكثر.

غيداء (تصرخ بشجاعة وهي تمسك الرموز الثلاثة):
"لن تحصل عليها! هذه الرموز تحفظ ذاكرة الأرض وأهلها... لن نسمح لك بمحوها!"

أمروث (يضحك ضحكة مروّعة):
"ذاكرتكم هي وقودي! بذكراكم سأعود سيدًا على كل

حجر وشجر... ولن يبقى منكم سوى رماد النسيان!"

اندفعت العاصفة السوداء في أرجاء الجبل كأنها وحش له ألف ذراع، تهجم على المجموعة بلا رحمة. ارتفع صوت أمروث مرة أخرى:

أمروث (بغضب):
"سأحرق كل خيط وكل ذكرى! الأرض ستعود لي وحدي!"

قفزت دليلة إلى الأمام، شعرها مربوط كنساء حضارتها الفينيقيات في المعارك، وصاحت:
"لن نسمح لك، لقد ورثنا عن أجدادنا سيوف البحر والنار!"

أخرجت رمحًا قصيرًا مزخرفًا بأصداف بحرية برونزية، واندفعت بسرعة، تهاجم ظلًّا ضخمًا خرج من جسد أمروث. كانت تضرب بخفة وتنسحب كالأمواج، تمامًا كما اعتاد الفينيقيون أن يناوروا في حروبهم البحرية.

ملكات وقفت خلفها، ارتدت عباءة فلستية ملوّنة بالخطوط القرمزية والسوداء، رفعت قوسها الطويل، وقالت بحزم:
"ونحن الفلستيون لم نخشَ الظلام يومًا، الأرض التي تربينا عليها لا تخوننا!"

أطلقت سهامًا مشتعلة بالنار من قوسها، فاخترقت الظلال المتحركة، كل سهم ينفجر بضوء ذهبي، يبدّد جزءًا من العاصفة السوداء.

شهاب قفز إلى جانب كنعان، يلوّح برمحه المزخرف بحجارة الكرمل:
" هيا معًا، اضربوا من كل الجهات!"

كنعان لوّح بسيفه الثقيل المصنوع من الفولاذ، يصدّ الهجمات عن غيداء التي كانت تقف في الوسط، تحمي الرموز الثلاثة.

غيداء (وهي ترفع الرموز):
"يا رموز الأرض... يا مفتاح الذاكرة والذكرى الخالدة والذكرى الأخيرة... أعطوني القوة!"

بدأت الرموز الثلاثة تتوهّج في يدها، كل واحد بلون مختلف: مفتاح الذاكرة أضاء بالأحمر، الذكرى الخالدة بالأخضر، والذكرى الأخيرة بالأزرق. تشابكت الألوان الثلاثة لتكوّن شبكة من النور امتدت في أرجاء الكهف.

أمروث (يصرخ بغضب):
"توقفي! لا يمكنكِ أن تتحكّمي بالقوة كلها!"

اندفع بجسده العملاق نحو غيداء، لكن سلام حلّقت أمامه بسرعة البرق، ترفرف بجناحيها وتنثر ريشًا ذهبيًا يعيق رؤيته.

سلام:
"لن تقترب منها ما دمتُ حيّة!"

اندفعت الظلال نحوهما، لكن دليلة وملكات تقدّمتا لحمايتهما، كل واحدة تقاتل بأسلوب حضارتها:

دليلة تضرب بخفّة من كل جانب، تستغل الصخور لتقفز عليها كأنها أمواج البحر.

ملكات ترسل سهامها الدقيقة إلى نقاط ضعف الظلال، فتثبّتها في مكانها.

كنعان (بصوت غاضب):
"غيداء! استعملي القوة الكاملة الآن قبل أن يبتلعنا الظلام!"

غيداء أغمضت عينيها، ورفعت الرموز الثلاثة عاليًا:
"بالأرض والسماء... بدماء الأجداد وأحلام الأبناء... لتستيقظ الذاكرة وتنهزم الظلال!"

انطلقت موجة من الضوء من الرموز الثلاثة، كأن الأرض نفسها صرخت معها. اخترق النور جسد أمروث، فتوقّف للحظة وعيناه تتسعان:
"لااااا... الذاكرة... تحرقني!"

بدأ جسده يتشقق، تخرج منه خيوط من النسيج الغافي، تعود إلى مكانها في الجبل. صرخ صرخة هزّت أرجاء الوادي قبل أن يتفتت ويتلاشى في هواء الليل.

توقّف كل شيء. سكنت الأرض.

سقط الجميع على الأرض يلهثون. نظرت دليلة إلى غيداء مبتسمة رغم التعب:
"لقد فعلتها... الأرض استعادت قوتها مرة أخرى."

ملكات (بصوت متقطع من الإرهاق):
"لكننا نعرف أن الظلال لن تتوقف هنا... ما زال هناك طريق أمامنا."

رفعت غيداء الرموز الثلاثة المضيئة بيديها وقالت بحزم:
"لن نسمح للظلام أن يعود. ما دام النسيج الغافي حيًّا في قلوبنا، ستظل الأرض تنبض."
بينما كانت الظلال تتلاشى، كانت غيداء تلتقط أنفاسها وهي ممسكة بالرموز الثلاثة، فجأة سُمِع صوت صرخة مكتومة خلف الصخور.

استدار شهاب بسرعة:
"ما هذا؟!"

ظهرَت ملكات من بين الظلال، كانت تمسك ربى من ذراعها بقوة، وقوسها المزدوج موجه نحو عنقها:
"وجدتها تحاول الهرب أثناء المعركة!"

حاولت ربى أن تتملص وهي تصرخ:
"اتركيني! أنتم لا تفهمون! كل هذا ليس ذنبي!"

تقدمت غيداء بخطوات ثابتة، وجهها يشتعل بالغضب:
"ليس ذنبك؟ لقد فرّقتِنا، وسلّمتنا إلى أمروث لنقع في فخه! كم من الخيانة بعد يا ربى؟"

رفعت ربى رأسها بتحدٍ، لكن صوتها ارتجف:
"أنا... أنا كنت أبحث عن طريقي الخاص، أردت القوة... لكن لم أتوقع أن يصل الأمر إلى هذا الحد."

ملكات شدّت قبضتها عليها أكثر:
"القوة التي أردتها كادت أن تدمر الأرض وما تبقى من النسيج الغافي. لن أتركك تهربين مجددًا."

تقدّم شهاب بخطوات بطيئة، رمحه ما يزال في يده:
"علينا أن نقرر الآن... هل سنأخذها معنا كأسرى حتى

لا تهرب، أم..."

قاطعته كنعان بصوت حازم:
"نعم، سنأخذها. إذا تركناها، ستجد طريقة أخرى لتخوننا. لن نسمح لها بذلك."

نظرت غيداء في عيني ربى مباشرة، وقالت بصوت منخفض لكنه حاد:
"لن أسمح لكِ أن تؤذي النسيج مجددًا. ستسيرين معنا حتى النهاية... شئتِ أم أبيتِ."

لم تجب ربى، لكنها أطرقت رأسها، وبدت لأول مرة عاجزة عن المقاومة. ملِكات كبّلت يديها بحبل قوي صنعته من خيوط قوسها، ثم دفعتها لتسير معهم.

سلام رفرفت بهدوء وقالت:
" هذه المرة لن نهزم من الداخل... مهما فعلتِ يا ربى."

غيداء أمسكت الرموز الثلاثة بإحكام، ورفعت عينيها نحو قمة جبل النول العظيم:
"الوجهة التالية... ستكون النهاية."

تصل المجموعة إلى قمة جبل النول العظيم، حيث الهواء بارد والغيوم تغطي السماء كغطاء رمادي ثقيل. هناك، بين الصخور القديمة، يلمع ضوء خافت ينبعث من داخل شق في الجبل.

غيداء تقترب بحذر، ترفع مفتاح الذاكرة مع رموز الذكرى الخالدة، وتلمس النقوش المنحوتة على الحجر.

فجأة، يظهر رمز جديد، يتوهج بقوة، هو "رمز النسيج الأبدي" — آخر وأقوى رمز يحفظ ذاكرة الأرض وروحها.

شهاب يهمس:
"هذا هو الرمز الذي سيكمل النسيج الغافي... لكنه يحمل مسؤولية كبيرة."

ملكات ودليلة تنظران بإجلال، تعلمان أن معركتهم الحقيقية لم تنتهِ بعد، لكن هذا الرمز يمنحهم القوة والأمل.

غيداء تمسك الرمز بإحكام، وتقول بصوت قوي:
"بهذا نعيد لأرضنا ما كان ضائعًا... ولن نسمح للظلام أن يمحو أبدًا ذاكرة أجدادنا."

فجأة، يهتزّ الجبل بقوة، وتنبثق من بين الصخور كتلة ضخمة من الظلال المتحركة، حارس النسيج الأبدي.

هو كائن عملاق، مغطى بدرع من خيوط النسيج، عيناه تلمعان كالجمر، وصوته يرنّ في الأرجاء:

"من يحاول أن ينال رمز النسيج الأبدي؟ هل أنتم مستعدون لحمل عبء الذكرى وحماية الأرض؟"

شهاب يشد سيفه، وكنعان يثبت خطواته، بينما سلام تحوم حول غيداء بحذر.

دليلة ترفع رمحها القديم بفخر، وملكات تمسك بقوسها المقوس، مستعدّتان للقتال.

غيداء ترفع الرمز الأخير عاليًا، تقول بثقة:

"نحن الحراس، وسنحمي التراث مهما تكالبت علينا الظلال."

ينطلق الحارس الهائل نحوهم، وتبدأ المعركة الأخيرة التي ستحدد مصير النسيج الغافي وذاكرة الأرض.

المعركة تشتدّ، صوت ارتطام الأسلحة يملأ الهواء، والرياح تثير غبار الصخور حولهم. الحارس العملاق يهاجم بقوة، ذراعه المكسوة بخيوط النسيج تمتدّ كالأفاعي، تحاول إمساك الأبطال وسحبهم إلى الظلام.

دليلة تتحرك برشاقة الفينيقيين، ترمي برمحها بدقة، تصيب خيوط الحارس محاولة تمزيق درعه. ملكات تقف خلفها، تطلق سهامًا متوهجة تحمل طاقة الأرض، تصيب نقاط ضعفه وتبطئ حركته.

شهاب وكنعان يتعاونان لتشتيت انتباه الحارس، يتبادلان الضربات والصدود بحنكة ومهارة. سلام تحلق حول الحارس، تضربه بريشها الذهبي، تشتت تركيزه وتفتح مجالًا لغيداء.

غيداء تمسك برموز الذكرى الثلاثة، تدمج طاقاتهم مع رمز النسيج الأبدي. يصدر عن الرموز ضوء قوي ينساب كخيوط حريرية تحيط بالحارس، تحاول إعادة توازنه.

تتقدم غيداء، تهمس بكلمات قديمة مستمدة من النسيج الغافي، فتبدأ خيوط النسيج على درع الحارس بالتحلل، يصرخ بألم ويواجه قوة لم يعرفها من قبل.

بجهد جماعي، ينجح الأبطال في تقييد الحارس، فتختفي

الظلال مع زواله، ويبزغ نور جديد يعمّ المكان.

تتنفس المجموعة الصعداء، وقد عادت الأرض لحمايتها، وتأكدوا أن النسيج الغافي أصبح أقوى من أي وقت مضى.

غيداء تنظر إلى الرموز بعيون ملؤها العزم، وتقول:

" ها نحن نحمي ذاكرتنا، ونصنع مستقبلًا لا يُنسى."

بعد أن هدأت العاصفة وأشرق نور النصر في السماء، توجهت المجموعة بخطى واثقة نحو قصر الحضارات والنسيج الغافي، ذلك القصر العريق الذي يحتضن في جدرانه تاريخ الأرض وروحها.

دخلوا القاعة الكبرى، حيث تزين الجدران بأقمشة نادرة تحمل نقوشًا تحكي قصص الحضارات التي سكنت هذه الأرض، وأصوات الماضي تهمس بين أروقة المكان.

وقفت شهد، ملكة الحضارات والنسيج الغافي، وسط الجميع، عيناها تلمعان بحكمة وقوة، وقد تسلمت ربى، التي كانت أسيرة بين يديها، بنظرة حازمة:

" ها قد عاد النسيج الغافي إلى كامل قوته، والنور يعمّ

قلوبكم جميعًا. ربى ستُحاسب على ما فعلته، لتكون عبرة لكل من يحاول العبث بذاكرة الأرض."

شهاب وكنعان، بعد وداع رفاقهما، عادوا إلى قريتهم، وعرف كنعان الحقيقة التي طالما خبأها الزمن: شهاب هو أخوه من أبيه.

أما غيداء، فبعد انتهاء مهمتها، عادت إلى بيت الفجار، حيث زارت رقية في الخليل لتعلمها أسرار الأعشاب وفنون الشفاء، ناشرة بذلك جسرًا بين الماضي والحاضر.

دليلة تزوجت شهاب، متحدين في حبهم ورغبتهم في حماية الأرض وتراثها، وملكات شاركت كنعان رحلة الحياة والحفاظ على النسيج الغافي.

سلام، حمامة السلام، عادت إلى حضن ملكتها شهد، لكنها لم تبتعد عن غيداء، فكانت تزورها بين الحين والآخر حاملة رسائل الطمأنينة وأصداء الماضي.

وهكذا، بين الحب والأسرار والوفاء، استمر النسيج الغافي في أن يحيك قصة الأرض وشعبها، قصة لا تموت مهما حاول الزمن أن يمحوها.

"سكنت الحكاية... لكن النسيج ما زال نابضًا."


رواياتك